كتاب الجمهورية

محمد صلى الله عليه وسلم

نبى الهدى .. والرسول الخاتم

الدكتور
محمد بهى الدين سالم

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ

« قرآن كريم »

إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ

« حديث شريف »



تقديم

فضيلة الامام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره الكافرون .

والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله الذى بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة .

﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ .

وبعـــــد ....

فلقد كانت سيرة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ـ وماتزال ـ الميدان الفسيح الذى تبارت فيه أقلام الكتاب والأدباء والشعراء منذ بدأ التاريخ فى صدر الإسلام ، وماتزال أجيال العلماء تستظهر الجديد المفيد هدياً ورشداً من هذه السيرة العطرة .

ذلك لأن جوانب العظمة فى حياة رسول الله ﷺ قد تعددت وتواصلت حلقاتها ، فسبحت الأقلام تختال فى مجالى هذه العظمة بين الجلال والجمال .

أما الجلال فلأنه ـ ﷺ ـ كان وحياً يمشى بين الناس ، وأما الجمال فكان فى السلوك المعف منذ نشأ ، وقبل أن يوحى إليه ، وفى الخلق الرفيع الذى فطره الله عليه

فى معاملته للناس بعامة ولأهله بخاصة ــ فهو الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه ــ فكان كما وصفه القرآن الكريم : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ .

ولئن كان العهد بالناس أن يملوا وأن يزهدوا الموضوع إذا تكرر والفكرة إذا أعيدت فإن الحديث عن رسول الله ﷺ يزداد جمالًا ورواء كلما أعيد وتكرر ، بل إنه يكون أكثر تألقاً وتأنقاً عندما تتنوع موضوعاته وتتكامل فروعه محدثة عن كل ناحية من نواحى سيرته ﷺ .

وهذه السيرة واحة يلجأ إليها المسلم إذا دهمه خطب أو حَزَبَهُ أمر ، أو نزلت به كريهة ، لأنه يجد فى رحابها الملاذ الصادق ، والملجأ الآمن عندما يطوف فى رياض أقواله وأفعاله ، ومأثوراته وجهاده نحو إبلاغ رسالة ربه وبلائه فى هذا بلاء حسناً حزماً ، وعزماً ، فلم يضعف أمام ملمة ، ولم ييأس وقد تواكبت العوائق الحادة وإنما قال مبتهلًا إلى ربه : « .... إن لم يكن بك غضب علىَّ فلا أبالى » .

وبين أيدينا هذه الصفحات التى تتحدث عن :

(محمد ــ ﷺ ــ نبى الهدى والرسول الخاتم) .

للدكتور / محمد بهى الدين سالم .

تناول فيها جانباً من هذه السيرة بأسلوب تجلت فيه عاطفة المناجاة ، والمحبة للرسول ﷺ ، وهو يستعرض تاريخه الحافل ، مفتتحاً بما تحدث به القرآن الكريم عن رسول الله ﷺ ، وتكريم الله سبحانه وتعالى إياه فى القرآن العظيم .

فالقارىء لهذا الكتاب يستشعر كثيراً من جوانب العظمة كلما بدأ فى قراءة فصل من فصوله فهو حينا يعيش مع المؤلف مشاعره وأحاسيسه تجاه (محمد نبى الهداية والرحمة) :

الهداية بكل ما تحمله من معانى الصدق فى التبليغ وفى حمل الأمانة ، والرحمة بكل ما تصوره معانيها من عطف على الضعفاء ، ورحمة بالفقراء ، ولين جانب فى لقائه بالناس ، ثم لا يلبث أن يستكشف الكتاب مهمة أخرى لصيقة بمهام الرسالة .

فقد كان القائد الأعظم الذى سن للحرب دستوراً وشريعة لا يتعارضان مع حبه للسلم ورغبته فيه وعمله على استتبابه . وما كان يلجأ للحرب لهوى نفسى أو انفعال شخصى ، وإنما كان ينهض إليها إذا انتهكت حرمات الله ، وتعرض للدعوة من يصدون عن سبيل الله .

ويمضى المؤلف ليقطف لقارئه زهرات يانعة نافعة من رياض السيرة العطرة .

فهذا حديث شيق أنيق مع رحلة الإسراء والمعراج ثم مع هجرته صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، وتتوالى أحداث الرسالة وواقعات حياة الرسول ﷺ إلى أن يصل إلى مدرسة النبوة فيختار منها نموذجاً فريداً تربى فيها صبياً نقياً هو على بن أبى طالب أحب الناس إلى رسول الله ﷺ وأقربهم إلى نفسه فقد نشأ فى البيت الذى خرجت منه الدعوة نموذجاً فى العطاء والوفاء والفداء ، شجاعاً فى القول والعمل والتضحية ، وما موقفه وموقعه ليلة الهجرة إلّا مثل حى لشجاعة الفتيان فى مثل سنه ينبغى أن يكون أسوة لشباب الإسـلام

ولم يكن رسول الله ﷺ يحب عليا فحسب ، وإنما كان يحببه إلى الناس بما وكل إليه من المهام العظام فى الحرب وفى السلم ، فهو حامل سورة براءة إلى الناس يوم الحج ، ثم هو باب مدينة العلم كما ورد فى الأثر .

وامتداداً للطواف فى رياض السيرة الشريفة يعطر المؤلف صفحاته هذه بباقة جميلة من أقوال المنصفين من علماء الغرب سجلوا فيها تقديرهم لرسالة محمد ﷺ معترفين بصدقه ﷺ وإعجابهم بالقرآن الكريم الذى أنزل عليه وأنه نزل من عند الله تعالى فقال وقوله الحق فى أول سورة الكهف ﴿ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عِوجا قيما لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ماكثين فيه أبداً ﴾ .

ثم يسوق المؤلف فى نطاق ـ وصف خلقه ﷺ ـ: « وكان خلقه القرآن » مجموعة مثمرة من أقوال رسول الله ﷺ ومن أفعاله مستوحاة من هدى القرآن الكريم .

والكتاب موثق المصادر يدل على جهد ظاهر ، نفع الله به وهدى ، وأجزل الله لمؤلفه العطاء .

أمـا بعـد ..

فما أشد حاجة أمة الإسلام اليوم إلى العودة إلى كتاب الله : (القرآن الكريم) وإلى سنة رسول الله ﷺ متمثلة فى حديثه ، وفى سيرته العطرة ففيهما الأسوة الحسنة ، وبهما السلامة للأمة من كل داء ، وهما الحصن من كل فتنة ، والعصمة من كل ضلالة والهدى إلى كل رشد ورشاد .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ..

شـيخ الأزهـر

جاد الحق

جاد الحق على جاد الحـق

فاتحـــة القـــول

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلاة وسلاماً على المبعوث رحمة وهداية للبشرية كلها محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ خاتم الأنبياء والمرسلين .

عزيزى القارىء ..

لاشك أن فى حياة كل فرد منا لحظات تأمل يعيشها بينه وبين نفسه .. وما أروع هذه اللحظات .. وما أجمل هذه التأملات عندما يعيش المرء مع سيرة الرسول الكريم محمد ﷺ .

عزيزى القارىء ..

أدعوك أن تترك عروض الدنيا بخيرها وشرها وتعيش معى لحظات مع رسول الإنسانية الأسوة الحسنة ، ولعلك ستجد وقفات وقفتها .. بل مناجاة فى محراب الرسول ﷺ .

●● محمد ﷺ كما تصوره آيات الذكر الحكيم .

●● محمد ﷺ نبى الهدى والرحمة .

●● مناجاة فى رحاب الذكرى العطرة .

●● بين يدى الهجرة النبوية الشريفة .

●● فتح مكة ويوم المرحمة .

●● نمط من بيت النبوة : (رابع الراشدين علىٌّ ـ كرَّم الله وجهه) .

●● محمد ﷺ فى مرآة المنصفين من علماء الغرب .

●● كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ خلقه القرآن .

●● ماقبل الختام ... كلمات من نور .

ثم خاتمة القول ..

عزيزى القارىء ..

أدعوك أن تعيش معىَ هذه النفحة من السيرة النبوية الشريفة ، سيرة المصطفى ﷺ .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن تكون أعمالى وأقوالى خالصة لوجهه الكريم .. فعنده حسن الجزاء .

(دكتور/ محمد بهى الدين سالم)

١ـ

محمد صلى الله عليه وسلم

كمـــا تصـــوره

آيات الذكر الحكيم

ليس هناك ما هو أبلغ من كلمات الحق تبارك وتعالى ..
تلك الكلمات التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها
تنزيل من حكيم حميد ..

فهى الشرع والمنهاج رسمت للناس فى مشارق الأرض ومغاربها معالم الطريق إلى الله سبحانه . طريق الجنة ، وحذرته من الطريق المعوج الذى يؤدى بصاحبه ـ لا محالة ـ إلى النار .

وعندما يحاول محب لرسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن يعيش لحظات مع نفحات من سيرته العطرة فهو ـ لابد ـ فى حيرة من أمره بأى نفحة من نفحاته يبدأ ، وهو الرسول الأعظم والقدوة الحسنة فى كل شىء .. لذا كان من الألزم أن تبدأ النفحات بكلمات الله البينات التى حددت العديد من قيم الإسلام العليا ممثلة فى المواقف التالية :

- **محمد ﷺ وطبيعة الرسالة .**
- **محمد ﷺ مؤيد من عند الله**
- **محمد ﷺ الأسوة الحسنة .**
- **محمد ﷺ من خلال مآثره وخصائصه .**
- **محمد ﷺ بين قريش والمدينة .**
- **محمد ﷺ والمهاجرين**
- **محمد ﷺ والدعوة .**

محمد ﷺ وطبيعة الرسالة :

يقول الحق تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين :

●● ﴿ قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض ، لا إله إلا هو يحيى ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمىّ الذى يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾[1].

●● ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىَّ أنما إلٰهكم إلٰه واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾[2].

●● ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ..... ﴾[3].

●● ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾[4].

●● ﴿ والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوماً ما أنذر أباؤهم فهم غافلون ﴾[5].

●● ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين ﴾[6].

●● ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيماً ﴾[7].

●● ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس . إن الله لا يهدى القوم الكافرين ﴾[8].

---

(١) سورة الأعراف الآية : ١٥٨

(٢) سورة الكهف الآية : ١١٠

(٣) سورة سبأ الآية : ٢٨ .

(٤) سورة الأحزاب الآية : ٤٠

(٥) سورة يس الآية : ٢ـ ٦

(٦) سورة آل عمران الآية : ١٥٩

(٧) سورة النساء الآية : ١٠٥

(٨) سورة المائدة الآية : ٦٧

●● ﴿ قل أى شىء أكبر شهادة ، قل الله شهيد بينى وبينكم ، وأوحى إلىّ هذا القرآن لأنذركم به ، ومن بلغ ، أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ، قل لا أشهد ، قل إنما هو إلٰه واحد ، وإننى برىء مما تشركون ﴾(1).

●● ﴿ قل إنما أنا منذر ، وما من إلٰه إلّا الله الواحد القهار ، رب السمٰوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار ﴾(2).

* * *

محمد ﷺ مؤيد من عند الله :

يقول الحق سبحانه وتعالى :

●● ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ﴾(3).

●● ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ﴾(4).

●● ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من الله من ولى ولا نصير ﴾(5).

●● ﴿ ... وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك . قل كل من عند الله ، فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ﴾(6).

---

(1) سورة الأنعام الآية : ١٩

(2) سورة ص الآية : ٦٥ ، ٦٦

(3) سورة النساء الآية : ١٦٣

(4) سورة الشورى الآية : ٥٢

(5) سورة البقرة الآية : ١٢٠

(6) سورة النساء الآية : ٧٨ .

•• ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ، فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير ﴾(١).

* * *

محمد ﷺ الأسوة الحسنة :

يقول الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه :

•• ﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾(٢).

•• ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾(٣)

•• ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾(٤).

•• ﴿ وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ، وقوم إبراهيم وقوم لوط ﴾(٥).

•• ﴿ ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، وإن لك لأجراً غير ممنون ، وإنك لعلى خلق عظيم .... ﴾(٦).

---

(١) سورة المائدة الآية : ١٩ .
(٢) الأعراف الآية : ١٥٧ .
(٣) سورة الجمعة الآية : ٢ .
(٤) سورة التوبة الآية : ١٢٨ .
(٥) سورة الحج الآية ٤٢ ، ٤٣ .
(٦) سورة القلم الآية : ١ ــ ٤ .

●● ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾(١).

* * *

محمد ﷺ من خلال مآثره وخصائصه :

وكان لرسولنا الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ مآثر ينفرد بها وخصائص ليست لسواه تحدث عنها الحق تبارك وتعالى فقال :

●● ﴿ يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلًا ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً ﴾(٢).

●● ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ﴾(٣).

●● ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلًا من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾(٤).

●● ﴿ يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا إنا سنلقى عليك قولًا ثقيلًا إن ناشئة الليل هى أشد وطئاً وأقوم قيلا . إن لك فى النهار سبحاً طويلًا واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا ، رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلًا ﴾(٥).

●● ﴿ فتوكل على الله إنك على الحق المبين ﴾(٦).

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٢١ .
(٢) سورة الأحزاب الآية : ٢٨ ، ٢٩ .
(٣) سورة الفتح الآية : ٢٨ .
(٤) سورة الفتح الآية : ٢٩ .
(٥) سورة المزمل الآية : ١ ـ ٩ .
(٦) سورة النمل الآية : ٧٩ .

محمد ﷺ بين قريش فى مكة والمهاجرين فى المدينة

يقول الحق سبحانه وتعالى :

●● ﴿ لإيلاف قريش . إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾(١).

●● ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ﴾(٢).

●● ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً . ذلك الفوز العظيم ﴾(٣)

●● ﴿ لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم ﴾(٤).

★ ★ ★

وكانت الدعوة :

وكان محمد ﷺ لسان تبليغ رسالة الله إلى العالمين يقول جلَّ فى علاه :

●● ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين ﴾(٥).

●● ﴿ وما لنا ألَّا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ، ولنصبرن على ماءاذيتمونا ، وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾(٦)(*)

---

(١) سورة قريش الآية : ١ ـ ٤

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٦٠

(٣) سورة التوبة الآية : ١٠٠

(٤) سورة التوبة الآية : ١١٧ .

(٥) سورة النحل الآية : ١٢٥

(٦) سورة ابراهيم الآية : ١٢ .

(*) أنظر تفصيل آيات القرآن الكريم/ جول لابوم ترجمة محمد فؤاد عبدالباق .

٢ـ

مناجاة فى رحاب
الذكرى العطرة

●● سيدى يا رسول الله .. سيرتك العطرة نور للقلب ، وصفاء للروح ، وهدى للنفس كيف لا وأنت النبى ـ المصطفى ـ الرحمة المهداة للبشرية كلها .. خاتم النبيين والمرسلين .. بك نقتدى وعلى نهجك نهتدى ، أرسلك الله بالحق شاهداً ومبشراً ونذيراً .. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

تمر الأيام وتكر السنون وذكرى مولد الرسول الأعظم ﷺ تتجدد مع كل فضيلة تنتشر فى الأرض ، وكل عدل يقام بين الناس ، وكل حضارة وتقدم لخير البشرية .. وأيضاً كل انتفاضة تقوّض أركان الظلم وترسى قواعد الأمن والسلام فى العالمين .

لقد كانت بعثة النبى الكريم ﷺ إيذاناً بزوال العصبية القبلية والجهل والضلال ، وفى ذلك يقول الشاعر :

جاء الوجود على ظلام حائر   والشرك تعبد فى الورى أصنامه
والكل يضرب فى شقاق جامد   والجهل بين الناس عاث ظلامه
فدعا إلى التوحيد دعوة رحمة   وعدالة فسما وعز مقامه

ويوم بعث الرسول الكريم ﷺ هللت السماء والأرض :

يا نور : يوم بعثت قامت عزة   للأرض إذ أمست لنورك تَنْتَمِى
الكوكب الأرضى حين وَطِئْتَهُ   أمسى حصاه يتيه فوق الأنجم
سَعِدَتْ بكَ الدنيا على فَزَعَاتِها   وَمشَتْ بك الأيامُ مَشْىَ مكرم

كانت حياة الرسول ﷺ قضاء على الشرك والوثنية بالتوحيد ، وعلى مساوىء الجاهلية بنور الإسلام وقيمه العليا وشريعته الغراء ممثلة فى قول الحق

تبارك وتعالى : ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾[1].

فهذه الجزيرة العربية التى كانت تعيش فى عزلة عن العالم وحضاراته أصبحت بعد البعثة المحمدية تمد العالم بالعلوم والمعارف ونور الحق .. فقد تبدل بؤسها نعماء ، وظلامها ضياء .. يومَ جاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجاً ، فلا أبيض ولا أسود ، ولا غنى ولا فقير الكل أمام الحق تبارك وتعالى سواء :

﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾[2].

ويقول رسول الرحمة والمغفرة : « **مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى** » .

وفى الثانى عشر من ربيع الأول من كل عام هجرى يحتفل المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها بذكرى مولد محمد ﷺ .. تلك الذكرى وما فيها من عظة وعبرة تحمل النفوس على الاقتداء بصاحبها ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ عملًا بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾[3]

وإن الأمة الإسلامية اليوم لفى أمس الحاجة إلى معرفتها لتأخذ منها عبرة اليوم ، وعظة المستقبل ، ولتعطى لها معناها الحى عبر القرون والأعوام ..

---

(١) سورة الجمعة الآية : ٢ .
(٢) سورة الحجرات الآية : ١٣ .
(٣) سورة الأحزاب الآية : ٢١ .

وما بالكم بذكرى الذكريات يوم مولد صاحب المعجزات والكرامات **نعم** ..
إن الحديث عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ متعدد الجوانب فهو الإسلام كله عقيدة وشريعة .. دين ودنيا كما وصفه المولى عز وجل فى قوله تعالى :

﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾(١).

﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً . محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ﴾(٢).

سيدى يارسول الله ..

●● **ماذا يستطيع البيان** ـ وهو كليل ـ أن يبلغ من تقريب مزاياك .

●● **وماذا يخط القلم** ـ وهو قليل ـ فى تصوير سجاياك .

●● **ومن أين للقطرة** أن تصف البحر ؟

●● **وأنى لذرة الرمل** أن تصور الجبل ؟

●● **ومن أين للهباءة** أن ترسم الشمس ؟

●● **إن قصارى** ما يبلغه جهد البيان أن يشير فى هيبة إلى مقامك الأسمى ومكانك الأسنى ومحلك الرفيع .

ياسيدى **يارسول الله** أنت من قلت :

●● **« السخى قريب من الله ، قريب من الجنة ، قريب من الناس ، بعيد عن النار ».**

●● **« خياركم أحاسنكم أخلاقاً ».**

●● **« تبسمك فى وجه أخيك لك بها صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وارشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة ، وبصرك للرجل الردىء البصر لك صدقة ، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة » .**

---

(١) سورة التوبة الآية : ١٢٨ .

(٢) سورة الفتح الآية : ٢٨ ، ٢٩ .

●● « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره » .

●● « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من فى السماء » .

●● « من كان له وجهان فى الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار » .

●● « لا يرمى رجل رجلًا بالفسوق ، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك » .

●● « خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن : البخل وسوء الخلق » .

●● « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » .

●● « من حمل السلاح علينا فليس منا ، ومن غشنا فليس منا » .

●● « خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم » .

صدقت يا رسول الله يا صاحب السيرة العطرة لنا فيك القدوة الحسنة فى بيتك وبين أهلك ، فى رحمتك وأمانتك وصدقك ، فى حضك على العمل والاعتدال وعدم الإسراف ، فى أمنك وأمانتك ، فى علاقتك مع جيرانك .. فى معاملاتك حتى مع أعدائك :

﴿ وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين ﴾[1].

أخى المسلم فى كل بقاع الأرض .. يا من تشهد أنه لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله حقاً وصدقاً .

لئن كانت الأمم تخلد عظماءها من بنى جنسها فما أجدر بك وبالأمة الإسلامية كلها أن تخلد ذكرى مولد رسولنا الكريم ﷺ الذى جاء برسالة أحيت القلوب ورققت المشاعر ، وبنت تصوراً صحيحاً ، وأقامت فهماً شاملًا كاملًا لعلاقة المسلم بخالق السموات والأرض ، وبالكون والإنسان وبالحياة من حوله .

---

(١)سورة الأنبياء الآية : ١٠٧ .

نعـــم ..

حقيق بذكرى المولد النبوى الشريف أن نحرك فى النفوس عوامل الأمل ونحفزها إلى الإنتاج والعمل والانتماء الصادق للوطن ، وفتح الأعين الغافية على ما تصدره النفوس الضعيفة من تطرف وتفرق يضر بمستقبل الأمة وشبابها .

يا سيدى يا رسول الله .. إن لنا من سيرتك ما يأخذ بأيدينا إلى مستقبل باسم يعز فيه العرب والمسلمون .. ويدفع بهم إلى مواطن الرفعة والرقى .

لنكون ــ بحق ــ كما أراد لنا الحق تبارك وتعالى فى قوله :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾(١).

يقول الشاعر :

الا يا رسول الله كنت رجاءنا	وكـنـت بنـا براً ولم تلك جافيـاً
وكنت بنا رؤوفاً رحيمـاً نبينـا	وقدمت صلب الدين أبلج صافياً
علـــيك من الله السلام تحيــة	وأدخلت جنات من العدن راضيا

صلى الله على محمد ...... صلى الله عليه وسلم(**)

---

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

(**) من أخلاق النبى	د/أحمد الحوفى
فى السيرة النبوية	المستشار/عبدالحليم الجندى
ديوان الله أكبر	عبدالله شمس الدين
من رياض السيرة العطرة	أبو الوفا المراغى
العباقرة تراث الانسانية	أبو بكر ذكرى

٣ـ

محمد صلى الله عليه وسلم

نبى الهداية والرحمة

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولًا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾(١).

ما قبل النـور والهـدى :

كان الفساد والطغيان والظلم والجبروت هو أساس الحياة ، وعنوانها فى مجتمع ما قبل الإسلام .. عالم يموج كله بالجهل والجاهلية ، احتدمت فيه ضراوة الغرائز ، وتقطعت الأواصل والأرحام .. عصبية قبلية ، تفرقة عنصرية ، تفاوت طبقى فاحش .

وكان أمر الدنيا فيما حول العرب وجزيرتهم مقسماً بين دولتى الفرس والروم . وكانتا قد تردتا فى الهاوية .. فالسيادة والسلطة ومتع الحياة أستأثر بها سادتهم الأكاسرة والقياصرة والكهان ، ومن ورائهم ملايين الرعية من البشر فقراء يعيشون على الذل والقل والحرمان ، لم يبق بين أيديهم شرع قائم يحكم بين الناس ، إنما هى شريعة الغاب ، منطق الظفر والناب .

ضراعة عبد واستجابة إله :

استجاب الله دعوة نبيه وخليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ حين نادى فى ضراعة وخشوع عند بيت الله الحرام ، بعد أن أقام بنيانه وشاد أركانه .

●● ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، إنك أنت العزيز الحكيم ﴾(٢).

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٤ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٩ .

وافقت هذه الدعوة المستجابة سابق قدر الله سبحانه فى بعثه محمد ﷺ نبياً ورسولًا إلى الناس كافة ، يقول الحق تبارك وتعالى :

●● ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ﴾(١).

●● ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ، وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾(٢).

●● ﴿ وما أرسلناك إلّا مبشراً ونذيراً ﴾(٣).

مولد الهدى والرحمة :

●● ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾(٤).

●● ﴿ شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ﴾(٥).

●● ﴿ ... ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾(٦).

●● ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ﴾(٧).

●● ﴿ وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين ﴾(٨).

إن الحديث عن النبى ﷺ ليس حديثاً مرهوناً بمناسبة ميلاده ، أو بدء دعوته وظروف هجرته ، ولكنه حديث الرسالة الإسلامية المتكاملة .

إنه حديث عن نشأته كيف تمت ، وعن دعوته كيف بدأت ، وعن دولته كيف تكونت وعن مسيرته كيف تحركت ، وعن حياته كيف آتت ثمراتها المرجوة ؟

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٨ .
(٢) سورة فاطر الآية ٢٤
(٣) سورة الفرقان الآية ٥٦
(٤) سورة الأنبياء الآية ١٠٧
(٥) سورة النحل الآية ١٢١
(٦) سورة النجم الآية ٢٣
(٧) سور الكهف الآية ٥٥
(٨) سورة النمل الآية ٧٧

فى فجر الثانى من ربيع الأول عام الفيل الذى وافق يوم ٢٠ من أغسطس سنة ٥٧٠ للميلاد ، كان ميلاد النبى ﷺ .

بمولده ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حلت رحمة الله وبركاته على من رعاه ورباه ، على أهله وعلى مرضعته واقرأ ـ إن شئت ـ كتب السيرة والسنة لترى أن الخيرات توالت على أهل هذا اليتيم ، واندفعت عنهم به نوائب وخطوب ، وهذه مرضعته وقومها وقد سعدوا به وحسنت حالهم ، واتسعت أرزاقهم فكانوا ببركاته فى خير دائم وعيشة راضية ، وأسبغ عليه وعلى دينه وشرعه من نعمة الذكر ، يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾[1].

ولد النبى ﷺ بشراً ككل البشر :

قال عز من قائل :

●● **﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلٰهكم إلٰه واحد ﴾**[2].

اصطفاه ربه واجتباه وأدبه ورباه .. فقد نشأ رسول الله ﷺ كريم الأخلاق ، جم الفضائل ، حلو الشمائل ، لين الطبع ، عذب الحديث ، نقى السيرة ، طاهر السريرة ، عالى الهمة ، صادق العزيمة ، قوى الإرادة .

كانت حياة النبى ﷺ قبل بعثه مضرب الأمثال للعرب جميعاً فى الصدق والأمانة والكرامة والعفة والعدل والوفاء والشرف وكانت حياته بعد الرسالة نوراً وهدى ورحمة للعالمين .

هكذا كان مولد الهدى والرحمة .. ميلاد نبى الإسلام وسيد الأنام محمد ابن عبد الله ﷺ بشيراً بفجر جديد يطل على الوجود ، ومشرقاً بالخير والبركة على الإنسانية جمعاء .

---

(١) سورة الجمعة الآية ٢ .

(٢) سورة الكهف الآية ١١٠ .

كانت حياته منذ ولد إلى أن بعثه الله رحمة للعالمين ، حياة حافلة بالخوارق العجيبة التى تدل عليه ، وتلفت الأنظار إليه .. عرف الناس سرها بعد البعثة النبوية ، إذ أخذوا يسترجعون الذكريات عنها ويدركون أنها معجزات أراد الله بها أن تتهيأ العقول لقبول دعوة الإسلام حينما ينادى بها النبى ﷺ بعد أن بلغ أشده ، وبلغ الأربعين من عمره ، حيث مضى صلى الله عليه وسلم بكل طاقاته على صراط الخير المستقيم يدعو إلى الله هو ومن اتبعه وينادى فى المواسم ، وبين القبائل والحواضر :

●● ﴿ وان هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾(1).

وهكذا ظل النبى ﷺ يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة إلى أن اطمأنت إليه وإلى دعوته النفوس ، فأشرق الإسلام بنوره وعم العالمين .

يقول الأستاذ **العقاد** فى كتابه عبقرية محمد : « إن التاريخ كله بعد محمد متصل به مرهون بعمله ، وان حادثاً واحداً من أحداث العالم لم يكن ليكون لولا ظهور محمد وظهور عمله .. فلا فتوح الشرق والغرب ، ولا حركات أوربا فى العصور الوسطى ، ولا الحروب الصليبية ، ولا نهضة العلوم بعد تلك الحروب ، ولا كشف القارة الأمريكية ، ولا الصراع بين الأوربيين ، ولا الثورة الفرنسية ، ولا ما تلاها من حروب وثورات ، ولا الحروب العظمى التى شهدناها فى الحرب العالمية الأولى ، والحرب العالمية الثانية ، ولا حادثة قومية أو عالمية مما يتخلل ذلك جميعه كانت واقعة فى الدنيا كما وقعت لولا ذلك اليتيم الذى ولد فى الجزيرة العربية بعد خمسمائة وإحدى وسبعين سنة من مولد المسيح » .

وفى الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى داراً وترك فيها موضع لبنة فجعل الناس يرونها ويقولون ما أجمل تلك الدار لولا موضع تلك اللبنة ، فأنا تلكم اللبنة ، وأنا خاتم النبيين** » .

---

(1) سورة الأنعام الآية ١٥٣ .

وبعــد ..

أيها المسلمون .... يا أتباع محمد ﷺ .... إن ذكرى ميلاد الرسول الأعظم تنادى أمته : أن اعملوا على إحياء سنته فى الدين والدنيا ، فى العبادات والمعاملات والقضاء .. فى التخلق بأخلاقه ، أخلاق القرآن الكريم ، فى الإخلاص ، فى المودة والرحمة وكل القيم الإنسانية .

كما تنادى السيرة العطرة أن عودوا إلى قرآن الله وإلى دينه فأقيموه ، وإلى شرعه وحدوده فحكموها فيما بينكم :

قال وقوله الحق :

●● ﴿ **وبعهد الله أوفوا** ﴾[1].

إن ذكرى ميلاد المصطفى ﷺ تنادى أمة الإسلام بالوحدة فى ظل الإسلام والتطلع إلى صحوة كبرى تجمع كلمة المسلمين ، وتؤكد وحدتهم فيقومون بربط حياتهم بالإسلام الذى لا يقبل المسلمين متقطعين فى الأرض أمماً ، ولا ينظر إليهم لا حول لهم ولا طول ، ولكنه يقول لهم :

●● ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** ﴾[2].

●● ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾[3].

فالرسول الأعظم صاحب الذكرى قد استوفى أجله ولحق بربه بعد أن أتم الرسالة وأكمل الله الدين وأتم النعمة :

●● ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾[4]

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٥٢ .
(٢) سورة آل عمران الآية ٩٢ .
(٣) سورة الأنبياء الآية ٩٢ .
(٤) سورة المائدة الآية ٣ .

●● ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾(١)(**)

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

** (١) الإسلام ورسوله بلغة العصر — أحمد حسين

(٢) قيام الدولة العربية الإسلامية فى حياة محمد — ﷺ — — د/محمد جمال الدين سرور

(٣) حياة محمد — اميل درمنجم

(٤) محمد ﷺ المثل الكامل — على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل ابراهيم

٤ ـ

محمد صلى الله عليه وسلم

صفحة من حياة القائد الأعظم

القيادة فى المصطلح الحديث هى فن التأثير فى الأشخاص وتوجيههم بطريقة معينة يتسنى معها كسب طاعتهم واحترامهم ، وولائهم وتعاونهم فى سبيل الوصول إلى هدف معين .

والقائد الناجح يتطلب نوعاً معيناً من العلاقة بينه وبين أفراد الجماعة ، إلى جانب نوع معين من السلوك الفردى ، مرتبط بوظائف ذات صلة بنشاط الجماعة ككل .

ولقد كان الرسول الأعظم محمد ﷺ مثلا يحتذى فى القيادة الحكيمة ، كان رئيساً للدولة ، وقائداً عاماً لها .. وهو كرئيس دولة كان يكره الحرب ويجنح للسلم ، ويؤثر حل مشاكله بالوسائل السياسية إلى مدى بعيد حقناً للدماء ، وتفرغاً لنشر الدعوة وتركيز قواعدها ، وحتى لا يكون لأعدائه سبيل إلى تشويه دعوته وتنفير الناس منها ، فإذا ما استنفد وسائله السياسية لجأ إلى الوسائل العسكرية تحقيقاً لقوله سبحانه وتعالى :

﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ﴾[1].

﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾[2].

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦١ .
(٢) سورة البقرة الآية ٢١٦ .

وعندما كتب القتال على الرسول الأعظم صدع له واحتمل أعباءه قائداً وجندياً .. احتمل عبأه قائداً فكان يرسم الخطط دون أن يستبد فيها برأيه بل كان يناقش أصحابه ويشاورهم تحقيقاً لقوله سبحانه وتعالى : **﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾**[1].

ويبرم الأمور بعد مناقشة واقتناع ، ويدافع عن إيمان ويقين . فالمشورة فى مصالح الأمة ــ وبخاصة فى شئون الحرب ــ توحيد للرأى وتكتيل للجهود .

وبهذه السياسة كانت جيوش المسلمين ــ على قلتها ــ تنقض على أعدائهم كالصواعق المحرقة ، والسيول الجارفة .

ولم تعف القيادة الرسول الأعظم من واجب الجندية ، فقد اشترك فى جميع المعارك الإسلامية الهامة فى عهده ﷺ ، وهى ما يسمى فى الاصطلاح التاريخى بالغزوات ، فلم يدر المعارك بعيداً عن ميادينها وبواسطة النواب ، بل أدارها كلها فى ميادينها ومن داخلها ، وكان يتخذ له عريشاً يستظل به على مرأى منها يرقب تطوراتها ويطمئن على سيرها ، ويستثير فى جنوده العزم والحماس ، ويبشرهم بالنصر ، وليس أدعى إلى القوة والتضحية فى نفوس الجند من وجود قائد المعركة بينهم يتعرض لما يتعرضون له ، ويحتمل ما يحتملونه .

وكان النبى ﷺ فى كثير من الأحيان السَّباق فى ميدان القتال ، متقدماً للصفوف ، فحمل السلاح وقاتل ، فشج وجهه ، وكسرت سنه ، ودخلت حلقتان من المغفر فى وجنتيه فى غزوة أحد ، وشارك فى حفر الخندق فحمل التراب على كتفيه ، كما يحمل سائر المسلمين فى تلك الغزوة ، وقد استعجله بعض أصحابه للخروج فى معركة أحد ، فلما خرج اعتذروا له وقالوا : قد استكرهناك يا رسول الله ، ولم يكن لنا ذلك فإن شئت فاقعد . فقال : « **ما كان لنبى لبس سلاحه أن يضعه حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه** » .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

ولعل الهجرة النبوية الشريفة ـ بكل مقاييس العصر عمل بطولى خارق أساسه التخطيط المحكم والتنظيم السديد ، تخطيط قام به الرسول القائد ، وتنظيم وضعه بوحى من الله تعالى ، فنجحت الخطة ، وبلغ الرسول مأمنه ، وخاب ظن الكافرين وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين ﴾[1].

وإذا استعرضنا العناصر المكونة للتخطيط والتنظيم التى اتبعها الرسول القائد فى حادثة الهجرة النبوية من تحديد للهدف أو الأهداف المبتغاة ، إلى إعداد وتنظيم للوسائل اللازمة لتحقيق تلك الأهداف ، إلى رسم لأسلوب التنفيذ ، مع محاولة التنبؤ بالمستقبل للسيطرة ـ ما أمكن ـ على مسار الأحداث بما يكفل الوصول إلى النتائج المرجوة لوجدنا الرسول الأعظم يهتم بكل تلك العناصر التى أصبحت ملمحاً بارزاً ، وطابعاً مميزاً لعالم اليوم ، وأحدث نظريات العصر فى القيادة الرشيدة الواعية .

لقد حدد النبى الكريم هدفه من الهجرة ، وكان الأسلوب الذى اتبعه فى رحلته كفيلًا بتحقيق هذا الهدف ، وذلك بأنه أعد من الوسائل البشرية والمادية ما يلائم الظروف القائمة ، ويتفق مع الظروف المحتملة ، ونظم هذه الوسائل تنظيماً محكماً ، ثم نفذها بأسلوب واقعى سديد فنجحت خطته ، وأدرك غايته .

وإذا ما درسنا هجرة الرسول القائد فى وقائعها المتتابعة والمتكاملة تبين لنا اتساق الخطوات التى اتبعها عليه السلام مع خطوات العمل بحسب مفهوم علم التنظيم وطرق العمل الحديث . ويجمع الباحثون فى خصائص الإدارة الحقة وعوامل نجاحها على أن التقاء القائد بأفراد الجماعة هو أقوم الطرق المؤدية إلى تعاونهم فى سبيل تحقيق الغاية المشتركة والتغلب على جميع المشكلات التى تعترض طريقهم .

---

(١) سورة الأنفال الآية ٣٠ .

وبهذا اللقاء وما يسفر عنه من تجاوب وتعاون وولاء يستطيع القائد أن يغير الواقع ، وأن يشكله فى الصورة التى ينشدها فيحيل الأهداف والأمانى إلى حقائق حية .

فكل جماعة من الناس فى حاجة إلى رأس مفكر ينظمها ويوجهها ويرشدها .

وهكذا تمثلت فى سيرة الرسول ﷺ أعظم صفات القائد الإدارى ومناقبه ، وتوافرت فيه المؤهلات اللازمة للإدارة الحكيمة وبخاصة فى مجال التنظيم فقيض الله على يديه رفعة الإسلام ، وازدهار حضارته فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأنجبت الأمة الإسلامية فى عهده الزاهر أفضل القادة على مدار التاريخ ، وفى مختلف مناحى الحياة من دين وسياسة واجتماع واقتصاد ، ودبلوماسية ، وحرب ، وغير ذلك من الميادين ، وظل يتحلى بهذا الأسلوب الأمثل الكثير من قواد الدولة الإسلامية على طول تاريخها الطويل ، أسلوبهم فى ذلك التعاون الإيجابى بين الحاكم والمحكوم ، وتبادل الثقة بينهما ، وإيمان الجماعة الكامل بقائدها وولاتها له حتى أصبح النجاح حليفهم فى كل المجالات ، يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وتعانوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾[1].

ويقول أيضاً : **﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾**[2].

ولقد عبر الرسول القائد ﷺ عن تعاون المؤمنين فى أبدع صورة حين قال :

« مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » . (صحيح البخارى ومسلم)

---

(١) سورة المائدة الآية ٢ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٣

وبعـــــد ..

فما أشبه الليلة بالبارحة ، وما أجدر بنا فى ظل المرحلة الحاسمة من تاريخ الأمة العربية والإسلامية أن نتدارس صفحة ناصعة نقية من حياة الرسول القائد محمد ﷺ نستخلص منها العبرة فى أسلوب التخطيط والتنظيم والقيادة التى اتبعها الرسول الأعظم فى حربه وسلمه وهجرته حتى نُؤَمِّن بها ديننا الإسلامى الحنيف ، وأرضنا العربية المقدسة فى معركة المصير ضد أعدائنا وأعداء الإنسانية تحقيقا لقول المولى عز وجل :

﴿ ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز ﴾(١)

﴿..... والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾(٢)(**)

(١) سورة الحج الآية ٤٠ .

(٢) سورة يوسف الآية ٢١ .

(**) (١) التخطيط والتنظيم فى الهجرة د/حسن فتح الباب

(٢) مقومات القيادة الادارة فى الإسلام د/حسن فتح الباب

٥ـ

- محمد صلى الله عليه وسلم
- ورحلته في رحاب الرحمن

يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير ﴾(١).

سجلت رحلة الإسراء والمعراج حدثاً عميق الأثر فى حياة المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ودعوته ، كما كان ـ وما يزال ـ لها أهمية قصوى فى دنيا المسلمين منذ فجر الدعوة المحمدية ، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها .

كانت بداية هذه الرحلة القدسية من عند أول بيت وضع للناس .

﴿ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً ، وهدى للعالمين ﴾(٢)

إلى ثانى الحرمين وأولى القبلتين بيت المقدس ، ثم العروج من بيت المقدس إلى السموات العلى ، إلى سدرة المنتهى ، إلى الفيوضات القدسية ، والأنوار الالهية حيث زالت الحجب وقيل كل نبىّ عند رتبته ، ويا محمد هذا العرش فاستلم .

جاءت حادثة **الإسراء والمعراج** فى فترة عصيبة من الزمن ، يوم حمل فيها النبى محمد ـ ﷺ ـ رسالة ربه إلى البشرية جمعاء فاشتدت الخصومة بين الداعى المخلص والسادة الغلاظ المستبدين ، وقرر المشركون الا يألوا جهداً فى

---

(١) سورة الأسراء الآية ١ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٩٦ .

محاربة النبى ودعوته مهما كلفهم ذلك من عنت وارهاق ، فآذوه فى نفسه بالسب والشتم والسخرية ، وآذوه فى صحبه الذين آمنوا به وصدقوه ، ونصروه ، واهتدوا بهديه ، واتبعوا النور الذى أنزل معه .

بنفس جريحة ، وأقدام مضرجة بدمائها ، لجأ النبى ﷺ إلى بستان حيث استعاد ما غاناه فى مكة على أيدى أهلها ، وما وصلت إليه حاله فاهتزت نفسه وهتف ينادى ربه بقوله :

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى .. إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى ... عافيتك أوسع لى .. أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، إن يحل علىّ غضبك أو ينزل بى سخطك ، لك العتبى حتى ترضى . ولا حول ولا قوة إلا بك » .

الإسراء والمعراج فى مرآة الغرب :

يقول (ارفنج) فى كتابه حياة محمد :

« إن هذه الزورة فيها عزاء لمحمد ـ ﷺ ـ بعد رجوعه من الطائف ، تلك الرجعة المؤلمة ، إذ فيها إشارة له أنه إذا كانت دعوته قد نبذت ، وتعاليمه قد رفضت من معشر الانس ، فقد قوبلت باحترام واعجاب من العالم الغيبى غير المرئى .

ثم حدث الإسراء فى هذه الفترة ، وكان على التحقيق قبل بيعة العقبة .. وفى الليلة السابعة والعشرين من شهر رجب إذ أسرى بالرسول الأمين إلى بيت المقدس ، وعرج به إلى السموات ، وفرضت عليه الصلوات الخمس .. ولا شك أن معجزة الإسراء ترفيه روحى ، ونمو نفسى واتصال ومشاهدات ،

وأنس ونفحات ، وكل ذلك عزاء ، وأى عزاء ، حتى لقد رجع ـ ﷺ ـ من اسرائه ومعراجه وقد خرج من همومه وأحزانه ، وفارقه ضيقه وكربه ، وفتحت أمامه أبواب السماء ، وصفت له النفوس ، ورحبت به أرواح فى العالم العلوى فتبدل من الوحشة أنساً ، ومن الإعراض اقبالاً ، ومن الضعف قوة ، ومن الفشل نصراً » .

ولخص المستشرق (درمنجم) قصة الإسراء والمعراج من كتب السيرة ما ترجمته :

« فى منتصف ليلة بلغ السكون فيها غاية جلاله ، وصمتت فيها طيور الليل ... وسكنت الضوارى وانقطع خرير الغدران ، وصفير الرياح .. استيقظ محمد ـ ﷺ ـ على صوت واضح كالطبل : أيها النائم قم ... وقام فإذا أمامه الملك جبريل يلمع فى الظلام الدامس ، وكان النور يشع من أجنحته التى كانت من كل الألوان ترتعش .. ومن وجهه الأبيض كبياض الثلج ، مرسلاً شعره الأشقر ، واقفاً فى ثيابه المزركشة بالدر والذهب ، وكرر الملك نداءه ، وأشار لمحمد ـ ﷺ ـ أن يتبعه إلى الطريق ، وكان أمام الدار دابة عجيبة هى البراق لها أجنحة كأجنحة النسر ، انحنت أمام الرسول فاعتلاها ، وانطلقت به انطلاق السهم فوق جبال مكة ، ورمال الصحراء ... ويظل « **درمنجم** » يصف قصة الإسراء والمعراج إلى أن يؤكد أنها خارقة من خوارق الأنبياء والرسل بل هى أعظمها اعجازاً » .

وما أروع تلك الكلمات المضيئة التى أذاعها الإمام الأكبر الشيخ **محمود شلتوت** ـ رحمه الله ـ فى ذكر الإسراء والمعراج قال :

« إنه حادث إسلامى كان له أثره فى سير الدعوة المحمدية ، وفى نفس الرسول ، ونفوس المؤمنين إن عبرة الإسراء توحى للمسلمين بضرورة حماية الروح وتطهيرها من بذور الشرك والوثنية والظلم والفساد ، بل ويوحى للمسلمين أيضاً بمبدئه وهو المسجد الحرام ومنتهاه وهو المسجد الأقصى .

يوحى إليهم بتذكر مهابط الوحىّ الأول الذى تلقاه إبراهيم وإسماعيل ، ومهابط الوحىّ الثانى الذى تلقاه موسى وعيسى ومحمد خاتم الأنبياء والمرسلين

ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وكلها مهابط الرسالات الآلهية ، وإن اختلفت أزمنتها ، وتعددت رسلها فهى واحدة فى دعوتها وغايتها . وإن جميع الرسل الذين اصطفاهم الله لتبليغ تلك الرسالات بناة بيت واحد يضع آخر لبنة فيه خاتمهم محمد ـ ﷺ ـ صاحب الإسراء والمعراج » .

إن قصة الإسراء والمعراج فى كلمات : نفحة من نفحات الرسول الأعظم ، كانت ولا تزال وستظل مبعث حديث العلماء ، ومعجزة من معجزات رسولنا الكريم .

●● هل كان إسراؤه ـ ﷺ ـ بروحه أم بجسده ؟

●● كيف تخطى ـ ﷺ ـ الحجب ، وتخلص من جاذبية الأرض ، وقطع آفاقاً معدومة الهواء ، وكيف وإنسان بشر يسبح بجسده الطاهرة إلى هذه الآفاق ؟

كل هذه تساؤلات عقول بشرية مهما وصلت فهى عاجزة عن أن تدرك قدرة الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً فإنما يقول له : كن فيكون .

وصدق أمير الشعراء أحمد شوقى إذ يقول :

يا أيها المسرى به شرفاً إلى	ما لا تنال الشمس والجوزاء
يتساءلون وأنت أشرف هيكل	بالروح أم بالهيكل الإسراء
بهما سموت مطهرين كلاهما	نور وريحانية وبهاء
فضل عليك الجلال ومنة	والله يفعل ما يرى ويشاء

وبعد

فتلك صفحة مشرقة من رحلة الإسراء والمعراج فى رحاب الرحمن .. من حياة رسولنا الأكرم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وبعض ما دار حولها من معانٍ ، وما لها من أهمية ومغزى فى حياة المسلمين الذين يهتدون بهدى الإسلام .. فلم تكن استجابة الله ـ سبحانه ـ لدعاء نبيه بالأمر الذى يجعله

يتراخى فى مهمته، وإنما عاد من هذه الرحلة ليمضى على نهجه القويم ينذر بالوحىّ كل من يلقى ، ويخوض بدعوته المجامع ، ويغشى بها المواسم ، ويتتبع الحجيج فى أماكنهم حتى تم له ما أراد ربه فانتشر دين الله فى كل مكان ، وسمع صوت المؤذن يردد ... وحتى قيام الساعة .. لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله » ••

•• (١) الإسراء والمعراج ضراعة عبد واستجابة إلهإبراهيم محمد اسماعيل.
(٢) الإسراء والمعراج والعلم الحديث محمد أمين جبر
(٣) الرسالة الخالدة عبد الرحمن عزام

٦ـ

بين يدى الهجرة النبوية الشريفة

يطالع أمة الإسلام فى كل ربوع الأرض عام هجرى جديد ، تعاودنا فيه ذكر أحداث ومواقف كان لها الفضل فى رفع لواء ديننا السمح القويم ، ونصرة رسول الإسلام ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ على جحافل الشرك والطغيان .

يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ والذين آمنوا وهاجروا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً ، لهم مغفرة ورزق كريم ﴾[1].

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ إن الذين آمنوا ، والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم ﴾[2].

بعد ثلاث سنوات هادئة أمر الله رسوله أن يجاهر بالدعوة فى غير هوادة :

« فاصدع بما تؤمر ، واعرض عن المشركين »[3]

كان الرسول ـ ﷺ ـ ينتهز موسم الحج ، ويعرض نفسه على الوافدين من أهل المدينة ، ويبلغهم دعوته ، ويشرح لهم قضيته مع قريش ، فكان الحق يأخذ من نفوسهم مآخذه وتميل قلوبهم إليه فى غير تكلف ، ولا تردد فيؤمنون به ، ويعاهدونه على تبليغ قومهم ودعوتهم إليه .

---

(١) سورة الأنفال الآية ٧٤ .
(٢) سورة البقرة الآية ٢١٨ .
(٣) سورة الحجر الآية ٩٤ .

بهذه المعاهدات أصبح للمسلمين ظهير فى المدينة وركن شديد يأوون إليه إذا اقتضى الأمر ، وأحست قريش أنه صار للمسلمين عصبية فى مكة ويثرب ، وأصبح الهم يساورهم أكثر مما كان .

فى تلك الفترة عينها كانت للنبى محاولة كهذه ، وهى الاذن لمن شاء من المسلمين بالهجرة إلى الحبشة تخليصاً من أذى قريش ، حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً ... وقد وقعت هذه الهجرة مرتين فى السنوات العشر التى جاهر فيها النبى بدعوته بعد الثلاث الأول ، وكان عدد المهاجرين فى كل منهما يقارب المائة من رجال ونساء .

لم يكن النبى أذن له حتى ذلك الوقت بالدخول فى حرب لو أرادها فضلًا عن عدم توافر أسبابها ، بل كان مأمرًا بالصفح والصبر .

﴿ ... فاصفح الصفح الجميل ﴾(١)

﴿ واصبر على ما يقولون ، واهجرهم هجرًا جميلًا ﴾(٢)

ولكن كيف يقاتل محمد ، وهو فى قلة من المؤمنين به فى مكة يعيشون بين جمهرة من الكفار ؟

من هذا المنطلق كانت سياسة الإسلام الرشيدة التى رسمها ، وجعلها منهجًا متبعًا ، أن يهاجر النبى بنفسه وأهله وأصحابه إلى المدينة لكى تنمو دعوته فى أرض خصبة غير تلك التى حوربت فيها دعوة الإسلام فى مهدها ... فقال : « إن الله عز وجل قد جعل لكم أخوانًا ودارًا تأمنون لها » فكانت هجرتهم ارسالًا ارسالًا وربما كانت مطبوعة بطابع السرية ، أو فى غالب الأحيان .

وبعد أن اطمأن الرسول لوصول صحابته إلى دار الهجرة ، أعد العدة مع رفيقه أبى بكر الصديق ...

★ ★ ★

---

(١) سورة الحجر الآية ٨٥ .

(٢) سورة المزمل الآية ١٠ .

فى ساعة من ساعات الهجير يوم الجمعة من ربيع الأول ، وفى غفوة الناس من حر الظهيرة توجه النبى نحو بيت أبى بكر ، وأسر إليه نبأ الهجرة ، واذن له بالخروج معه ، واتفقا على التنفيذ فى ليلتهما ـ وهى الليلة التى عينتها قريش للايقاع بالرسول فى فراشه ، أو حين خروجه إلى الصلاة صباحًا ـ وهاجر الرسول ـ ﷺ ـ وصحبه ـ رضوان الله عليه ـ وكان لهجرتهما عجائب .

●● نسج العنكبوت وتفريخ الحمام على مدخل الغار بعد نزول النبى وصاحبه فيه .

●● حادث سراقة بن مالك ، وكان خروجه معلومًا لقريش ، وعاد إليهم كما خرج وهو مشرك لا يتهم عندهم إلا أن الرجل اقتنع بنفسه وصدق فى وعده .

●● قصة أم معبد الخزاعية ، وهى حادثة مشهورة رويت عنها وعن زوجها .

« ففى طريقهم أشرف رسول الله وصحبه على (أم معبد) فوزع فكرها ، وذهل لبها بمهابة ذلك السيد الذى نزل بها ، وتركها فى دهشة من أمره إلى (المدينة المنورة) .

وبعد هنيهة قدم عليها زوجها فرآها مضطربة ورأى فى نواحى الخيمة آثار طعام وشراب ، فسألها عما رأى ، فأنبأته نبأ القوم ، وأن أحدهم قام إلى هذه النعجة العجفاء التى جف ضرعها فحلبها فدرت لبنًا غزيرًا .

فقال : يا ام معبد ، صفى هذا الرجل العظيم .

فقالت : إنه طاهر الوضاءة مليح الوجه حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة(١) ولم تزر به صعلة(٢) فى عينيه دعج(٣) وفى اشفاره وطف(٤) أحور اكحل ، أزج(٥) ، أقرن ، شديد سواد الشعر فى عنقه سطع(٦) وفى لحيته كثاثة(٧)، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما ، وعلاه البهاء .

---

(١) الثجلة : كبر البطن .
(٢) الصعلة : صغر الرأس .
(٣) الدعج : سواد العين مع سعتها .
(٤) الوطف : طول الأهداب .
(٥) الازج : دقيق الحاجبين طويلهما .
(٦) السطح : الطول .
(٧) الكثاثة : الكثافة .

وتقول ام معبد أيضًا أن النبى كان أفرق (أى مفروق الحاجبين) كأن منطقه خرزات نظمن ، ثم تحدرن حلو المنطق (لا نذر ، ولا هذر)[1] ، أجهر الناس إذا تكلم ، وأجلهم من بعيد ، وأحلاهم وأحسنهم من قريب ... »

فلما سمع هذا الوصف قال ــ وقد غمرته الدهشة ــ : ويحك يا أم معبد ، هذا هو صاحب قريش وهم ما زالوا يطلبونه ، وقد بذلوا (جُعلا) لمن يرده إليهم .

ثم تركها وأخذ يسرع فى أثر الركب حتى أدرك النبى ــ ﷺ ــ . فأسلم ، ورجع إلى قبيلته يبشرهم بالإسلام .

●● حادث الهاتف الذى سمعته قريش على مشارف مكة تنشد ويردد نشيده بذكر محمد وصحبه وأمر أم معبد معهم .

هذا فضلًا عن الحادث الأول الذى لا ترتاب فيه قريش ، ولا نجادل ــ وهو حادث خروج النبى من بيته ومروره بين أيدى الفتيان المتربصين له دون أن يروه ــ ثم كانت الهجرة بعد أن ظلت المدينة فترة طويلة على شغف بلقاء الرسول ، وفى تلهف لرؤيته ، وكان أهلوها دائمًا يخرجون لاستقباله فى ربضها البعيد عن الأبنية ، ويظلون فى العراء إلى أن تسعفهم شمس الظهيرة بوهجها فيعودون إلى مساكنهم على شوق أشد ، واحتماء من الحر حتى كان يوم الأثنين الثانى عشر من ربيع الأول أشرق عليهم مطلع الركب من بعيد فأخذت جموع القوم عليهم شاملة تنشد نشيدها المبتكر :

طلـــع البـــدر علينـــا ... من ثنيـــات الـــوداع
وجب الشكـــر علينـــا ... ما دعـــا للـــه داع
أيها المبعـــوث فينـــا ... جئت بالأمـــر المطـــاع
جئت شرفت المدينـــة ... مرحبًـــا يا خير داع

---

(١) هذر ونذر : لا قليل الكلام ولا كثيره

وهكذا لم يكن حادث الهجرة فى أوله صراعًا بين الحق والباطل ، ولا هو محاولة من محاولات البطولة الصامدة فى وجه الضلال والبغى ، انما هو فى حقيقة أمره جهاد يقتضيه – دائمًا – كل اصلاح مسبوق بفساد ، وما يتأتى أن ينهض الإصلاح دون كفاح وتضحيات واستبسال وتلك شرعة الله فى الكون الذى دبره ، وسنته فى هذا الوجود .

قال وقوله الحق :

﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ، والصابرين ونبلوا أخباركم ﴾(١)

وبتمام الهجرة بدأت دولة الشرك تنهار ، وأخذت شمسهم إلى أفول ، فقد تركزت راية الإسلام فى المدينة ، وبدأ المسلمون فى تنظيم دولتهم ، وأخذ القرآن الكريم يسعفهم بآياته فى التشريع ونظم الحكم والمعاملات والحروب والأنساب والمواريث والحدود ونحو ذلك .

غير أن الرسول – ﷺ – ، لم يكن زاهدًا فى مكة ، ولا سهلًا عليه أن يغادرها ، فضلًا عن مطاردته منها فى أهله وصحبه ، فقد كان يسأل عن مكة من يقدم إليه من أهلها ، وكان هذا الحنين مناجاة لله أن يترفق ببيته الحرام فينقذه من أيدى المشركين ، وقد استجاب الله سبحانه فجعل تلك الهجرة من مكة مفتاحًا لها – وأعادها إليه وعززها به ، وكان من أمرها ما كان :

﴿ ... اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ﴾(٢)

وكما شرف الله مكة بنزول القرآن فيها أولًا ، شرفها باختتامه فيها آخراً .

فقال عز من قائل :

﴿ اليوم اكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾(٣)

---

(١) سورة محمد الآية ٣١ .

(٢) سورة المائدة الآية ٣ .

(٣) سورة المائدة الآية ٣ .

من نتائج الهجرة :

ومن نتائج الهجرة ضبط تاريخ إسلامى ، فلم يكن للعرب قديمًا تاريخ مضبوط يتقيدون به فى تقدير أزمنتهم ، وتعيين أحداثهم ، بل كان المؤرخ منهم يربط الحادث بزمن ملك من ملوكهم ، أو بوقت مرض تفشى فيهم ، أو بحرب كانت ذات شأن بينهم كعام الفيل .

فلما كانت البعثة النبوية ، ثم كانت الهجرة نجدد للمسلمين تأريخ بالهجرة ، ومما يروى فى ذلك أن النبى ـ ﷺ ـ لما قدم المدينة بعد الهجرة أمر باتخاذ تاريخ ، فاتخذوا الهجرة مبدأ تاريخهم بعد أن كانوا يؤرخون ببعثة النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ غير أن الهجرة كانت فى ربيع الأول ، وليس هو أول العام ، بل أوله شهر المحرم فاتفقوا باجماع على اعتبار المحرم أول العام الهجرى ، وإن كانت الهجرة بعد هذا بأكثر من شهرين وصار هذا تاريخ المسلمين دون تغير فى ترتيب الشهور ولا فى أسمائها ، كما شرع الله سبحانه من قبل ، وفى هذا الإختيار الاجماعى ما ينبىء عن حسن تقدير الصحابة لحادث الهجرة ، واعتباره فرقًا بين الحق والباطل ... فهو فى حقيقة أمره بدء عهد جديد للإنسانية والإسلام ، وانتشار التحرر البشرى والانطلاق التقدمىّ ، لذا استحق أن يخلد بشعار التاريخ ، وأن يحتفل به المسلمون وسائر شعوب الأرض كل عام ، بل إن ذكرى الهجرة النبوية تنادى أمة الإسلام بالوحدة فى ظل الإسلام ، والتطلع إلى صحوة كبرى تجمع كلمة المسلمين ، وتؤكد وحدتهم فيقومون بربط حياتهم بالإسلام الذى لا يقبل المسلمين متقطعين فى الأرض أممًا ، ولا ينظر إليهم .... لا حول لهم ولا طول ولكنه يقول لهم قول الحق تبارك وتعالى :

●● ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾(١)

●● ﴿ ان هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون ﴾(٢)(**).

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٢ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٩٢ .

(**) (١) الهجرة النبوية بين أسبابها ونتائجها عبد اللطيف السبكى

(٢) الكامل . ابن الأثير

٧ـ

فتح مكة

ويوم المرحمة

رأى الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - ذات ليلة أنه دخل المسجد الحرام ، وطاف بالبيت هو وأصحابه محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون .

وأخذ مفتاح الكعبة الشريفة ، ووقف بعرفة فى الحج ، فاستبشر - عليه الصلاة والسلام - لتلك الرؤيا وقصها على أصحابه ، ففرحوا بها وعلموا أنها قدرٌ آتٍ لا ريب فيه ، لأن رؤيا الأنبياء حق يوحيه الحق تبارك وتعالى .

ثم دعاهم - ﷺ - أن يتهيأوا لأداء عمرة بمكة فهزهم الشوق إلى ذلك ، ولا سيما المهاجرون ، فإن أكثرهم لم ير مكة وطنه الحبيب ، ولم يدخل المسجد الحرام منذ هاجر منها منذ ست سنوات ، فشرعوا فى الاستعداد على رجاء واستبشار ، وأعد بعض أصحاب النبى - ﷺ - هدايا من أموالهم الخاصة ، وأمر النبى أصحابه ألا يخرجوا إلا بسلاح المسافر ، لا بسلاح المحارب وقال :

« لست أحمل السلاح إنما خرجت معتمرًا » .

عمرة القضاء :[1]

يقول ابن اسحاق : فلما رجع رسول الله - ﷺ - إلى المدينة من خيبر أقام بها شهرى ربيع وجُمادَيْن ورجبا وشعبان ورمضان وشوال ، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه - ﷺ - ثم خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى

---

(١) وسميت بالقضاء اشتقاقا مما كتبوا فى كتاب الصلح يوم الحديبية : هذا ماقاضى عليه لا من القضاء الاصطلاحى .

صده فيه المشركون معتمرًا عمرة القضاء ، مكان عمرته التى صدوه عنها . ويقال لها عمرة القصاص ، لأنهم صدوا رسول الله ـ ﷺ ـ فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ست فاقتص رسول الله ـ ﷺ ـ منهم ، فدخل مكة فى ذى القعدة فى الشهر الحرام الذى صدوه فيه ، من سنة سبع .

يقول ابن هشام : وبلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله فى ذلك :

﴿ ... والحرمات قصاص ﴾(١)

ولقد أنزل الحق تبارك وتعالى آيات بينات فى شأن عمرة القضاء بما لها من شأن هام . قال ابن هشام : فأنزل الله عز وجل عليه فيما حدثنى أبو عبيدة :

﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون ، فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحًا قريبًا ﴾(٢)(*)

موقف حاطب بن أبى بلتعة :

قال ابن اسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ابن الزبير وغيره من علمائنا قالوا : لما أجمع رسول الله ـ ﷺ ـ المسير إلى مكة ، كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابًا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله ـ ﷺ ـ من الأمر فى المسير إليهم ، ثم أعطاه امرأة ، زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة ، وزعم لى غيره أنها سارة مولاة لبعض بنى عبد المطلب ، وجعل لها جعلًا على أن تبلغه قريشًا ، فجعلته فى رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها ، ثم خرجت به ، وأتى رسول الله ـ ﷺ ـ الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام رضى الله عنهما ـ فقال : أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبى بلتعة بكتاب إلى قريش ، يحذرهم ما قد أجمعنا له

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩٤ .

(٢) سورة الفتح الآية ٢٧ .

(*) يعنى خيبر .

فى أمرهم فخرجا حتى أدركاها بالخُلَيقَةَ(1) ، خُلَيْقَةَ بنى أبى أحمد فاستنزلاها فالتمسا فى رحلها ، فلم يجدا شيئًا ، فقال لها على بن أبى طالب : إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله ـ ﷺ ـ ولا كذبنا ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك ، فلما رأت الجد منه قالت : أعرض ، فأعرض ، فحلت قرون رأسها فإستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه ، فأتى به رسول الله ـ ﷺ ـ فدعا رسول الله ـ ﷺ ـ حاطبا فقال : يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟. فقال : يا رسول الله ، أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكنى كنت امرءاً ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهلٌ فصانعهم عليهم ، فقال عمر بن الخطاب ، يا رسول الله ، دعنى فلأضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطَّلَعَ إلى أصحاب بدر يوم بدر . فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم فأنزل الله تعالى فى حاطب قوله سبحانه وتعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ﴾(2) .. إلى قوله : **﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم إنا بُرءاءُ منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ... ﴾(3)**

تجهيز الرسول لفتح مكة :

أمر الرسول ـ ﷺ ـ بالجهاز ، وأمر أهله أن يجهزوه ، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة ـ رضى الله عنها ـ وهى تحرك بعض جهاز الرسول ـ ﷺ ـ فقال : أىْ بُنَيَّةَ : أأمَرَكُمْ رسول الله ـ ﷺ ـ أن تجهزوه ؟ قالت : نعم فتجهز .. قال : فأين تَرَيْنَهُ يُرِيدُ ؟.

---

(1) اسم موضع (عن أبى ذر) .
(2) سورة الممتحنة الآية ١ .
(3) سورة الممتحنة الآية ٤ .

قالت : لا والله ما أدرى ، ثم إن رسول الله أَعْلَمَ أنه سائر إلى مكة .. وأمرهم بالجد والاستعداد ... وقال اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها فتجهز الناس .

يقول حسان بن ثابت محرضًا الناس ، ذاكرًا مصاب خزاعة :

عنانى ولم أشهد ببطحاء مكة ... رجال بنى كعب تُحَزُّ رِقابها[1]
بأيدى رجال لم يَسُلُّوا سيوفهم ... وقتلى كثيرٌ لم تجن ثيابها[2]
ألا ليت شعرى هل تنالن نصرتى ... سهيل بن عمرو خزها وعقابها[3]
وصفوان عود حن من شفر استه[4][5] ... فهذا ألوان الحرب شد عصابها
فلا تأمننا يا بن أم مجالد ... إذا احتلبت صرفا وأعصل نابها
ولا تجزعوا منا فإن سيوفنا ... لها وَقْعَةٌ ، بالموت يفتح بابها

قال ابن هشام : « قول حسان » : بأيدى رجال لم يَسُلُّوا سيوفهم » يعنى قريشًا « وابن أم مجالد » يعنى عكرمة بن أبى جهل .

الخروج إلى مكة :

قال ابن اسحاق : عن عبد الله بن عباس أنه قال : ثم مضى رسول الله ـ ﷺ ـ لسفره واستخلف على المدينة « أبا رُهم »[7] بالكديد بين عسفان وأمج أفطر ، ثم سار ـ ﷺ ـ حتى نزل من الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين ، وأوعب مع الرسول المهاجرون والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد .

ودعا الرسول ـ ﷺ ـ بشر بن سفيان الخزاعى فأمره أن يمضى إلى مكة سراً يتحسس له من أخبار أهلها ... ومع أنه ـ ﷺ ـ لم يدع وسيلة من

---

(١) عنانى : اهمنى . (٢) لم تجن ثيابها : لم تستر .
(٣) كذا فى الديوان . (٤) العود : المسن من الإبل .
(٥) كذا فى الديوان . (٦) الصرف : اللبن الخالص .
(٧) كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى .

وسائل الإعلام عن نيته السلمية الا أعلم بها ، إذ أنه أخبر كل من لقيه أو مر به أنه إنما خرج معتمرًا محاربًا وقد أبى إلا أن يخرج هو وأصحابه بسلاح المسافر ، وقد لبس ملابس الإحرام وساق الهدىّ وأشعره وقلده وجلله .

ومع كل ذلك فإن قريشًا حين علمت به أخذتها حمية الجاهلية وقالوا : لن يدخلها علينا عنوة أبدًا ، ولن تتحدث عنا العرب بذلك ، وتشاوروا فيما بينهم فانتهوا إلى أمور ثلاثة :

أولًا : أن يجمعوا من حولهم من العرب من استطاعوا .

ثانيًا : أن يجمعوا الأموال لإطعام من يقدم عليهم لنصرتهم على محمد ـ ﷺ ـ .

ثالثاً : أن يخرجوا لحرب محمد ـ ﷺ ـ ومعهم الفوز المطافيل ـ أى النساء بأطفالهن ـ ليكون ذلك أقوى على استجاشة حمية الحرب فى نفوسهم .

وعُميتْ الأخبار عن قريش فلمْ يأتهم خبر الرسول ولا يدرون ما هو فاعل .. إلى أن رجع أبو سفيان إلى أهل مكة يحذرهم حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن فقالوا : قاتلك الله .. وما تغنى عنا دارك قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن .. فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

وصول النبى إلى ذى طوى :

ولما انتهى النبى ـ ﷺ ـ إلى ذى طوى وقف على راحلته ليضع رأسه تواضعًا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح .

قال ابن اسحاق : وحدثنى عن عبد الله بن أبى نجيح أن رسول الله ـ ﷺ ـ حين فرق جيشه من ذى طوى أمر ابن العوام أن يدخل فى بعض الناس من كداء ، وكان الزبير على المجنبة اليسرى ، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل فى بعض الناس من كداء ـ جبل بأعلى مكة ـ وأمر النبى ـ ﷺ ـ

خالد بن الوليد فدخل من الليط أسفل مكة فى بعض الناس ، وكان خالد على المجنبة اليمنى وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب .

وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب خيمة بين يدى رسول الله ، ودخل الرسول - ﷺ - حتى نزل بأعلى مكة ، وضربت له هناك قبته .

وكان شعار رسول الله يوم فتح مكة شعار المهاجرين : يا بنى عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يا بنى عبد الله ، وشعار الأوس : يا بنى عبد الله .

طواف الرسول بالبيت :

عن ابن عباس قال : دخل رسول الله - ﷺ - مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص فجعل النبى - ﷺ - يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام ويقول :

« جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقًا » ... فما أشار إلى صنم منها فى وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع بوجهه حتى ما بقى منها صنم إلا وقع فقال تميم بن أسد الخزاعى فى ذلك :

وفى الأصنام معتبر وعلم ... لمن يرجو الثواب أو العقابا

يوم المرحمة :

قال ابن اسحاق : فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله - ﷺ - قام على باب الكعبة فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده يا معشر قريش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا الآية الكريمة :

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[1] .

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

ثم قال : يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم ؟

قالوا : خيرًا : أخ كريم ، وابن أخ كريم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء : ثم جلس رسول الله ـ ﷺ ـ فى المسجد فقام إليه على بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده فقال : رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية ـ صلى الله عليك ـ فقال : رسول الله ـ ﷺ ـ أين عثمان بن طلحة ؟ فدعى له فقال : هات مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ـ ﷺ ـ دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صورة الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم ـ عليه السلام ـ مصورًا فى يده الأزلام يستقسم بها فقال : قاتلهم الله ، إجعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام(1) ... ما شأن إبراهيم والأزلام يقول سبحانه وتعالى :

﴿ ما كان إبراهيم يهوديًا ، ولا نصرانيًا ، ولكن كان حنيفًا مسلمًا ، وما كان من المشركين ﴾(2) .

ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست(3) .

الدروس المستفادة :

١ ـ انتصار الحق على الباطل مهما طال الزمن : **﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾(4)**

٢ ـ مكن الله المسلمين الذين استضعفوا فى مكة ، ولاقوا ألونًا من التعذيب :

﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض ﴾(5)

---

(1) الأزلام : وأحدها زلم يضم الزاى وفتحها ، وهى السهام ويستقسم بها : يضرب بها .

(2) سورة آل عمران الآية ٦٧ .

(3) طمست : أى غيرت .

(4) سورة الأنبياء الآية ١٨ .

(5) سورة القصص الآية ٥ .

٣ ـ تحقق وعد الله لنبيه يوم أن هاجر من مكة إلى المدينة بأنه سيعود إلى مكة :

﴿ **إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد** ... ﴾[1].

٤ ـ انتصر المسلمون فى مكة انتصارًا عسكريًا وانتصارًا أخلاقيًا حيث عفا الرسول ـ ﷺ ـ عن المشركين من أهل مكة فقال لهم :

« اذهبوا فأنتم الطلقاء »[**] .

---

(١) سورة القصص الآية ٨٥ .

** (١) فتح مكة — د.البهى الخولى

(٢) سيرة ابن هشام — سلسلة تراث الإسلام ط.الحلبى.

(٣) البخارى بشرح الكرمانى .

(٤) الاستيعاب — ابن عبد البر

٨ـ

نمط من بيت النبوة

رابع الخلفاء الراشدين

على كرَّمَ الله وجهه

الحديث عن الإمام على ـ كرَّمَ الله وجهه ـ حديث ذو شجون ... فهو على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف..

فهو أول هاشمى يولد من أبوين هاشميين ، إذ كان بنو هاشم قد تعودوا أن يصهروا إلى أسر أخرى من قريش ، قبل أن يتزوج أبو طالب من بنت عمه فاطمة بنت أسد .

وتروى فاطمة بنت أسد : « بينا أنا أسوق هدْيًا (ما يهدى إلى الكعبة من النَّعَم) إلى هُبَل (كبير آلهة المشركين وهو أول صنم نصب بمكة) إذ استقبلَنى رسول الله ـ ﷺ ـ وهو يومئذ غلام ـ شاب قبل البعثة ـ فقال لى : « يا أماه إنى أُعْلِمُكِ شيئًا فعل تكتمينه عَلىّ » قلت : « نعم » .

قال : « اذهبى بهذا القربان فقولى : كفرت بهبل ، وآمنت بالله وحده لا شريك له » . فقلت : « أعمل ذلك لِماَ أعلمه من صدقك يا محمد » ففعلت ذلك .

فلما كان بعد أربعة أشهر ، ومحمد يأْكل معى ومع عمه أبى طالب ، إذ نظر الىّ وقال : « يا أم مالك ! مالى أراك حائلة اللون ؟ » .

ثم قال لأبى طالب : « إن كانت حاملًا أنثى فزوجنيها » .

فقال أبو طالب : « إن كان ذكرًا فهو لك عبد ، وإن كان أنثى فهو لك جارية وزوجة » .

فلما وضعتهُ ـ فى الكعبة ـ جعلته فى غشاوة .

فقال أبو طالب : « لا تفتحوها حتى يجيء محمد فيأخذ حقه » .

فجاء محمد ففتح الغشاوة فأخرج منها غلامًا حسنًا فشاله بيده ، وسماه عليًا ، وأصلح أمره ، ثم أنه لقمه لسانه فما زال يمصه حتى نام » .

(هذا هو ما روته فاطمة أم عليّ عن مولده) .

والمشهور عن علي ـ رضى الله عنه ـ أنه أول هاشميّ اجتمعت له خلاصة الصفات التي اشتهرت بها هذه الأسرة الكريمة ، وهى فى جملتها النبل والشجاعة والمروءة والذكاء ... عدا المأثور فى سماته الجسدية التى تلاقت وتقاربت فى عدة أولئك الأعلام .

وكاد على أن يولد مسلماً ، بل لقد ولد مسلماً على التحقيق ، إذ نحن نظرنا إلى ميلاد العقيدة والروح ، ذلك لأنه فتح عينيه على الإسلام ولم يعرف قط عبادة الأصنام .. تربى فى البيت الذى خرجت منه الدعوة الإسلامية ، وقد اختلف فى سنه حين أسلم فهناك من يقول أنه أسلم فى السابعة من عُمُرِه ، وهناك من يقول فى السادسة ... ولعل الأرجح أنه أسلم فى نحو العاشرة لأنه كان يناهزها عند إعلان الدعوة المحمدية .

ومن أوصاف الإمام على أيام طفولته أنه كان مبكر النماء ، سابقاً لأنداده فى الفهم والقدرة ، ذلك أنه أدرك وهو فى السادسة أو السابعة من عُمُرِه شيئاً من الدعوات النبوية التى يَدِقُّ فهمها فى مثل هذه السن المبكرة .

وكان ـ رضى الله عنه ـ أيضاً ـ رجلًا مكين البنيان فى الشباب والكهولة ، كذلك كان على قوة جسدية بالغة فى المتانة والصلابة على العوارض والآفات كما كانت شجاعته من الشجاعات النادرة ، ازدانت بالتورع عن البغى والمروءة مع الخصم ، قوياً أو ضعيفاً على السواء ، وسلامة الصدر من الضغن على العدو بعد الفراغ من القتال ... وتقترن بصفة الشجاعة صفة الثقة والاعتزاز بالنفس والتهويل على الخصوم لا سيما فى مواقف النزال .

وكان ملاك الأمر فى أخلاق على ـ كرّم الله وجهه ـ أنه كان لا يتكلف حتى من مادحيه صدق فى تقواه وإيمانه ، كما صدق فى عمل يمينه ، ومقالة لسانه ، لم يعرف من الخلفاء أزهد منه فى لذة دنيا أو سيد دولة .

والحق الذى لا مِرَاءَ فيه أنه كان على نصيب من الفطنة الناقدة ، لا ينكره منصف ، أشار على عمر وعثمان أحسن المشورة فى مشكلات الحكم والقضاء .

وهكذا نرى أن جميع صفات الإمام على هذه صفات تنتظم فى نسق موصول : رجل شجاع لأنه قوى ... وصادق لأنه شجاع .. وزاهد مستقيم لأنه صادق .. ومثار للخلاف لأن الصدق لا يدور بصاحبه مع الرضى والسخط والقبول والنفور .. وأصدق الشهادات لهذا الرجل الصادق أن الناس قد أثبتوا فى حياته أجمل صفاته المثلى .

وكان على من أحب الناس إلى النبى ـ ﷺ ـ دل ذلك على كثير من الأحاديث والمواقف لرسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ .

بل إن الرسول لم يكن يحب علياً فحسب بل كان يحببه إلى الناس .

أما العلاقة بين على وسائر الصحابة من الخلفاء وغير الخلفاء فهى علاقة الزمالة المرعية والتنافس الذى يثوب إلى الصبر والتحمل والتقية ... وقد أعان أسلافه الثلاثة برأيه وعمله ، وجاملهم مجاملة الكريم بمسلكه ومقاله .

اختص سيدنا على ـ رضى الله عنه ـ بلقب الإمام لأنه اتصل بكل مذهب من مذاهب الفرق الإسلامية ... منذ وجدت فى صدر الإسلام فقل أن سمعنا بعلم من العلوم الإنسانية لم ينسب إليه ، وقل أن تحدث بفضل لم ينحلوه إياه ، فقد كان ـ رضى الله عنه ـ ينظم الشعر ، ويحسن النظر فيه ، وكان نقده للشعراء نَقْدُ عليم بصير يعرف اختلاف مذاهب القول .

أما القضاء والفقه : فالمشهور عنه أنه كان أقضى أهل زمانه ، وأعلمهم بالفقه والشريعة وكان أول من عالج العظات والخطب معالجة أديب .

وحصة الإمام من علم النحو عظيمة ، وكذلك يقال فى الحساب والمسائل العلمية التى من قبيله ... والكلم الجوامع التى رويت للإمام طراز لا يفوقه طراز فى حكمة السلوك على أسلوب الأمثال السائرة .

ولا يتم القول فى ثقافة الإمام على ـ رضى الله تعالى عنه ـ ما لم نتممه بالقول فى نصيبه من الثقافة العسكرية ، أو فى الحرب الذى هو مضماره الأول ومناط شهرته ... كانت له وصاياه المحفوظة فى تسيير الجيوش ، وتأديب الجند ومعاملتهم لسكان البلاد إلى غير ذلك من آداب الحروب .

بل كانت له مناقب لا تُحْصَى ولا تعد .

عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال يوم خيبر : لأعطين هذه الراية رجلًا يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، قال عمر : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ فتساورت لها رجاء أن أدعى لها فدعا رسول الله ـ ﷺ ـ عليًا فأعطاه إياها وقال : امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك فسار علىٌّ شيئاً ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يا رسول الله : على ماذا أقاتل الناس ؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا « أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى »[1] .

روى الشيخان والترمذى عن سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ قال : خلف رسول الله ـ ﷺ ـ على بن أبى طالب فى غزوة تبوك فقال : يا رسول الله تخلفنى فى النساء والصبيان ، فقال : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبىّ بعدى »[2] .

---

(١) فتساورت : تطاولت ، فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم أى حفظوهما .

(٢) فالنبى ـ ﷺ ـ لما خرج لتبوك أناب عليا عنه فى أهله فقال المنافقون ما تركه إلا استثقالا له ، فسمع بهذا على فتسلح فخرج فلحق برسول الله ـ ﷺ ـ وهو نازل بالجرف فأخبره بقول المنافقين فقال : كذبوا إنما خلفتك لمن تركتهم ورائى فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك . أما ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى تأول قول الله تعالى : ﴿ **وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين** ﴾ فعلى من النبى ـ ﷺ ـ كهارون من موسى أى فى الآخرة ، وقرب المرتبة والمظاهرة به فى أمور الدين .

وقال جابر ـ رضى الله عنه ـ دعا رسول الله ـ ﷺ ـ علياً يوم الطائف فانتجاه فقال الناس : لقد طال نجواه مع ابن عمه فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : ما انتجيته ولكن الله انتجاه »[1].

روى الترمذى والطبرانى عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال : « أنا دار الحكمة وعلى بابها »[2].

قال له رسول الله ـ ﷺ ـ : « يا على ألا أدلك على خير أخلاق الأولين والآخرين ؟ »

قال : « بلى يا رسول الله » .

قال : « تعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك » .

وأوصاه الرسول حين زوجه ابنته فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ قال : يا على لا تغضب إذا غضبت فاقعد وتذكر قدرة الله تعالى على العباد ، وحلمه عنهم ، وإذا قيل لك : اتق الله فاترك غضبك عنك ، وارجع لحلمك » .

وعلّمه الرسول ﷺ أن : « من كظم غيظاً وهو يقدر على انفاذه ملأه الله إيماناً وأمنا ، ومن وضع ثوب جمال تواضعاً لله وهو يقدر عليه كساه الله تعالى حلة الكرامة » .

وعلّمه ـ ﷺ ـ أن : « من استأجر أجيراً فظلمه ولم يوفه أجره ، فأنا خصمه يوم القيامة ، ومن أكن خصمه فأنا أخصمه (أى أغلبه) » .

على هذه التعاليم التى تلقاها منذ نعومة أظفاره عاش علىُّ بن أبى طالب .. وَلَكَمْ عفا عمن ظلمه ، ووصل من قطعه ، وأعطى من حرمه .. وَلَكَمْ كَظَمَ

---

(١) يوم الطائف أى يوم غزوته فانتجاه أى كلمة سرا وطال الكلام فسئموا واعترضوا فقال ـ ﷺ ـ ما انتجيته ولكن الله انتجاه أى أمرنى بنجواه .

(٢) ورواه ابن عبدالبر ولفظه أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه ، فهذه منقبة لعلى لم يشاركه فيها غيره ـ رضى الله تعالى عنه ـ فكان أعلم الناس بعد النبى ـ ﷺ ـ وأقدرهم على حل المعضلات حتى ضرب المثل به (قضية ولا أبا حسن لها) ... وانظر نهج البلاغة .

من غيظٍ .. وَلَكَمْ ناضل لكى يوفى ٱلْأُجَرَاءَ أجورهم قبل أن يجف عرقهم .. واجه بكل هذه الفضائل التى تعلمها من النبى ـ ﷺ ـ عصراً شرساً تنهار فيه قِيمٌ لتسود قيمٌ جديدة .

وبعـــد :

فتلك نفحات من فيض حياة رابع الخلفاء الراشدين الإمام على ـ كرَّمَ الله وجهه ـ حياة زاخرة بالكثير من المعانى والعظات كيف وهو مثل يحتذى من بيت النبوة .

سلام على أبو الحسنين .. سلام على رمز الفداء فى الإسلام .. سلام على من قال فيه رسول الله ـ ﷺ ـ :

« أنت منى ، وأنا منك » .

وعن بريدة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال : إن الله أمرنى بحب أربعة ، وأخبرنى أنه يحبهم قيل يا رسول الله سمهم لنا قال : على منهم قالها ثلاثاً[1] رحم الله الإمام على رحمة واسعة وقربنا منه يوم العرض عليه [**] .

---

(١) ذكر الرسول ـ ﷺ ـ عليا ثلاثا تنويه بمزيد فضله وعلو قدره ـ رضى الله تعالى عنه ـ.

(**) (١) انظر عبقرية الامام — عباس محمود العقاد
(٢) الفتنة الكبرى على وبنوه — د. طه حسين
(٣) على امام المتقين — عبدالرحمن الشرقاوى
(٤) التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول — منصور على ناصف
(٥) فجر الإسلام — أحمد أمين
(٦) أهل البيت — توفيق أبو علم

٩ـ

محمد صلى الله عليه وسلم

في مرآة المنصفين من علماء الغرب

إن كان لرسولنا الكريم ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ وللإسلام أعداء من اشباه العلماء فى الغرب فإن له ــ ﷺ ــ وللإسلام أيضاً أصدقاء من العلماء العدول .

ونسجل هنا بعض أقوال المنصفين إلى جانب ــ أيضاً ــ أقوال المغرضين ليضرب الحق تبارك وتعالى الباطل بالحق فيجعله زهوقاً وحتى يكشف النقاب عن الشبهات الباطلة التى يرددها أهل الكيد والافتراء حول السيرة النبوية المطهرة .

فهذا « **تولستوى** » يقول فى كتابه : (حكم النبى محمد) : إن محمداً هو مؤسس ورسول الديانة الإسلامية التى يدين بها الملايين من البشر فى جميع جهات الكرة الأرضية .

وخلاصة الديانة التى نادى بها محمد هى : إن الله واحد لا إله إلا هو ، ولذلك لا يجوز عبادة أرباب كثيرة ، وأن الله رحيم عادل ، وأن مصير الإنسان النهائى متوقف على الإنسان نفسه ، فإذا سار حسب شريعة الله ، وأتمر بأوامره واجتنب نواهيه فإنه فى الحياة الأخرى يؤجر أجراً حسناً ، وإن خالف شريعة الله ، وسار على هواه فإنه يعاقب فى الحياة الأخرى .

ومحمد لم يقل عن نفسه أنه نبى الله الوحيد بل قال بنبوة من أرسلهم الله من قبله ، كما أوصى الله إليه ، وقال :

ان اليهود والنصارى لا يكرهون على ترك دينهم بل يجب عليهم أن يتمموا وصايا أنبيائهم . وفى سنىّ دعوة محمد الأولى احتمل كثيراً من اضطهاد

أصحاب العقائد القديمة ، شأن كل نبى قبله ، دعا أمته إلى الحق ، ولكن هذه الاضطهادات لم تثن من عزمه ، بل ثابر على دعوة أمته إلى ما أمره به ربه .

●●●

ويقول « **كارليل** » فى كتابه الأبطال :

لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد تمدن من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب ، أن محمداً خداع مزور .. وآن لنا أن نجاوب على ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة .. فإن الرسالة التى أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرناً لنحو مائة مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذى خلقنا (هذا بالطبع فى عصر كارليل وهم الآن بعد أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان ، ما يقرب من ألف مليون نسمة) أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التى غاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والاحصاء أكذوبة وخدعة ؟.

كلا ... ما محمد بالكاذب ولا الملفق ، وإنما هو قطعة من الحياة ، تفطر عنها قلب الطبيعة ، فإذا هى شهاب قد أضاء العالم أجمع ـ ذلك أمر الله ـ .

●●●

وهذا العلامة « **سنكس** » يقول :

ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين عاماً ، وكانت مهمته فى رسالته ترقية العقول البشرية بإيتائها أصول الأخلاق الأولية ، وإيصالها إلى الإعتقاد بإله واحد وبحياة بعد هذه الحياة فأحدث فى أفريقيا وآسيا ، بل وفى الشرق بأسره انقلاباً دينياً عظيماً لا يشبهه إلا ما أحدثته تعاليم المسيح فى أوروبا ، ولكن ذلك الإنقلاب لم يتم بمجرد الكلام والإقناع ، والأمثلة الحسنة واحتمال الأذى والحب ، بل بكل ذلك وبالسواعد المقاتلة للذين تحمسوا لعقائد الإسلام وآدابه التى حملها إلى النبى المَلَكُ جبريل .

أما الكاتب الفرنسى « **بارتلمى سانتيلير** » فيقول :

« إن القرآن قد بقى أجمل أثر للغة التى نزل بها ، ولم أر ما يشبه ذلك فى جميع التاريخ الدينى للعالم الإنسانى ، وهذا الأمر يفسره التأثير العظيم الذى أحدثه هذا الكاتب على العرب الذين اعتقدوا بأن محمداً فى معارفه الساذجة لا يستطيع أن يؤلف بنفسه هذا الكتاب وأن لا بد من أن يكون قد أملاه عليه الملك جبريل » .

وقد كان محمد يؤكد بأنه يتلقى معارفه عن الملأ الأعلى ، وقد أجمع معاصروه على الاعتراف بأن معارفه الساذجة أصغر من أن تجعله يدرك ويكتب مثل هذه التعاليم العالية الحكيمة المشحون بها هذا القرآن .

●●●

ويقول الكاتب الانجليزى « **ولز** » عندما يتعرض للرسول - ﷺ - ورسالته ، وهو من أكبر مؤرخى الانجليز وأكثرهم شهرة بين بنى قومه يقول :

« كل دين لا يسير مع المدنية فى كل طور من أطوارها فاضرب به عرض الحائط ولا تبال به لأن الدين الذى لا يسير مع المدنية جنباً إلى جنب لهو شر مستطير يجر أصحابه إلى الهلاك ، وأن الديانة الحقة التى وجدتها تسير مع المدنية أنّى سارت لهى الديانة الإسلامية ، ومن أراد أن يتحقق من ذلك بنفسه فليتصفح القرآن وما فيه من نظريات علمية وقوانين وأنظمة لربط المجتمع ، فهو كتاب دينىٌّ علمى اجتماعى تهذيبىّ خلقى تاريخىْ ، وأكثر نظمه وقوانينه نستعلمها فى وقتنا الحالى ، وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة ، ولو طلب منى أحد القراء تحديد الإسلام فإنى أحدده له بالعبارة التالية : (الإسلام هو المدنية) . وهل باستطاعة أحد أن يأتينى بدور من الأدوار كان الإسلام فيه مغايراً للمدنية والتقدم ؟.

●●●

ويقول « **توماس أرنولد** » الكاتب الانجليزى المعروف فى كتابه القيم عن تاريخ الإسلام ورسوله : « لا يستطيع من يلقى نظرة على تعاليم الدين

الإسلامى أو يتمعن قليلًا فى بعض أحكامه إلا الإعجاب الشديد بمبلغ دقة ذلك النظام الهائل ، وقوة إيمان المسلمين ، وشدة تعلقهم بتأدية أحكام دينهم .

ولا شك أن ذلك لسر عجيب يكمن فيه ، وعناية خارقة تسنده ، فقد قال كاتب غربى ذات مرة ما دخلت مسجداً إلا وأسفت على أنى لم أولد مسلماً (ذلك لأنه دين الفطرة التى يخلق عليها كل مولود) .

ثم إن حج المسلمين كل عام إلى مكة ظاهرة شديدة الأثر فى النفوس لما فيها من الدلالة على مبلغ حرص ذلك الدين على وحدة المسلمين واتفاق أفكارهم وخلوص عقائدهم من كل شائبة أو زيغ .

●●●

أما « **جوتييه** » أكبر الشعراء الألمان يقول عندما اطلع على مزايا الإسلام : « إن كان هذا هو الإسلام أفلا نكون جميعاً عائشين فيه ؟ والشاعر الألمانى يريد أن يقول إن ما جاء به النبى ـ ﷺ ـ يتفق تماماً مع تطورات العلم وقواعد المدنية الصحيحة وإسعاد المجتمع الإنسانى » .

●●●

أما الكاتب الانجليزى والأديب الكبير « **برنارد شو** » يقول عن الإسلام ورسوله : « إن العالم اليوم أحوج ما يكون إلى رجل فى تفكيره مثل محمد هذا النبى الذى وضع دينه دائماً موضع الإحترام والإجلال ، فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات ، وأنه خالد خلود الأبد » .

●●●

أما « **كامف ماير** » وهو رئيس الجمعية الألمانية للمعارف الإسلامية والذى دافع كثيراً عن حقوق المسلمين فى مجلة العالم الإسلامى يقول :

« يأتى إلى دياركم مستشرقون ومبشرون أوروبيون من مختلف الطبقات الدينية واللا دينية يودون أن يفتنوكم عن دينكم الفطرى ، فإياكم ثم إياكم أن تتأثروا بأقوالهم ، وحذارى أن تبدلوا الثمين بالغث فإنكم إن فعلتم ذهبت ريحكم ولن تقوم لكم قائمة » .

وهذا هو « **ديرما نجيم** » يقول فى كتابه حياة محمد .

« إن محمداً قد أبدى فى أغلب حياته اعتدالًا لافتاً للنظر ، فقد برهن – فى انتصاره النهائى – على عظمة نفسية قل أن يوجد لها مثال فى التاريخ .

إذ أمر جنوده أن يعفوا الضعفاء والمسنين والأطفال والنساء ، وحظر عليهم أن يهدموا البيوت ، أو أن يسلبوا الشارع ، أو أن يقطعوا الأشجار المثمرة ، وأمرهم ألا يجردوا السيوف إلا فى حالة الضرورة القاهرة .. بل قد رأيناه يؤنب بعض قواده ، ويصلح أخطاءهم إصلاحاً مادياً ويقول لهم :

« إن نفساً واحدة خير من أكثر الفتوح ثراء » .

ويقول أيضاً :

« وهكذا نهض محمد ليدعو بنى جنسه إلى دين واحد ، هو دين الإله الواحد ، وليوقظ جزءاً من آسيا وأفريقيا ، وليحرر من عبودية الجامدين كل الذين يفهمون رسالته الحقيقية ، ولكى يحرر بلاد الفرس التى كان النعاس يشملها ، ولينعش المسيحية الشرقية التى شوهتها المجادلات البيزنطية الخالية من الحماس ومن الاعتقاد العارى عن الوحدة » .

« إن محمداً كان يجهل كل ما ليس علماً مطلقاً ، وكان أميًّا بالمعنى الكامل لهذه الكلمة وليس معناها – فيما أرى – العامية أو الخلو من التأدب ، وانما الأمى هو بالأحرى الرجل النقىّ الذى جمع بين الطبيعة وما فوق الطبيعة ، والبرىء من الأحكام العقلية والقلبية المتسرعة .. ومع ذلك فقد نهض لكى يدعو العلماء إلى أن يفهموا ما يقولون ، وليقوّم الطرق الملتوية التى يضل فيها مَنْ يزعمون أنهم حكماء » .

« إن محمداً قد جاء فى عصر ، يعد أحد عصور التاريخ المظلمة ، إذ أن جميع المدنيات من حدود الجول إلى أقاصى الهند ، كانت منهارة أو مضطربة .. إن دعوة محمد قد أَوْجَدَت فى جزيرة العرب تقدماً غير قابل للإعتراض ، سواء أكان ذلك فى دائرة الأسرة أم فى دائرة الجماعة ، أم فى الناحية الصحية .. فإن

حظ المرأة قد تحسن ، وأن الفحش والزواج المؤقت والمعاشرة الحرة قد حظرت ، وقد حرم أيضاً إكراه الإماء على اتخاذ الفحش وسيلة لثراء مواليهن ، كما كان متبعاً فى ذلك العهد : ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً** ... ﴾[1]

●●●

أما الباحث الغربى « **بورشوث سميث** » فإنه يصور فى كلمات قليلة عظمة محمد ـ ﷺ ـ حين يقول : « كان محمد فى وقت واحد مؤسساً لأمة ، ومقيماً لإمبراطورية ، وبانياً لدين ، وقد أتى بكتاب يحوى أدباً وقانوناً وأخلاقاً عامة وهو كتاب يقدسه إلى يومنا هذا سدس مجموع الجنس البشرى لأنه معجز فى دقة الأسلوب وسمو الحكمة وجلال الحق .

●●●

وفى كتاب بعنوان « محمد والدين المحمدى » بقلم « **لين بول** » يقول :

إننا إذا رجعنا إلى التاريخ وَحَكَّمْنَاهُ فى هذه المسألة لتبين لنا أن القسوة لم تكن قط من أخلاق محمد ، بدليل معاملته للأسرى بعد موقعة « بـدر » وتسامحه مع أعدائه وصبره على أذاهم ، وعطفه على الأطفال المرضى ، وحقنه للدماء ، وعفوه عن أولئك الذين قضوا فى محاربته ثمانية عشر عاماً ، ولما استتب له الأمر ، وجاءه نصارى نجران اليمانيون لم يحاول قط أن يكرههم على اعتناق الإسلام وَأَمَّنَهُمْ على أموالهم وأرواحهم ، وأمر ألا يتعرض لهم أحد فى معتقداتهم أو طقوسهم الدينية ، بل أكثر من ذلك ، لم يفرض عليهم أى ضريبة أو جزية .

●●●

ويقول الشاعر « **لامرتين** » : أى رجل ـ قيس بجميع المقاييس التى وضعت لوزن العظمة الإنسانية ـ أعظم منه ، أعظم من محمد ، لو كان مقياس العظمة هو إصلاح شعب متدهور ، فمن ذا يتطاول إلى مكان محمد ، لقد سما بأمة متدهورة ورفعها إلى قمة المجد ، وجعلها مشعلاً للمدنية ، ومورداً للعلم والعرفان ، لو كان مقياس العظمة هو توحيد البشرية المفككة الأوصال فمن

---

(١) سورة النور الآية : ٣٣ .

أجدر بهذه العظمة من (محمد) الذى جمع شمل العرب وجعلهم أمة واحدة وامبراطورية شاسعة ، لو كان مقياس العظمة هو اقامة حكم السماء فى الأرض ، فمن ذا الذى ينافس محمداً وقد محا مظاهر الوثنية لتصبح عبادة الخالق وحده ، لو كان مقياس العظمة هو الأثر الذى يخلده فى النفوس على مر الأجيال فها هو (محمد) يمجده مئات الملايين من الناس من مختلف البقاع مع تباين أوطانهم وألوانهم وطبقاتهم .

●●●

ويقول « **واشنجطون أرفنج** » : « إن حياة محمد تعتمد على الإخلاص ، ولم يكن هناك ما يدفعه إلى خوض هذه المصاعب والعقبات التى صادفته منذ إعلان دعوته ، لو لم يكن الإيمان الخالص لرب العالمين يملأ فراغ عقله وقلبه ، ومن مظاهر عظمته تسامحه مع خصومه ومعارضيه ، وهل وجدنا فى تاريخ العالم تسامحاً كالذى رأيناه من هذا الرسول الكريم ؟ لقد كان هذا التسامح سلاحاً فعالًا من أسلحة المسلمين ، فقد أثرت سماحة النبى وتسامحه فى نفوس العرب فلانت قلوبهم ، ورقت نفوسهم ، فأقبلوا نحوه فى نفوس آمنة وقلوب واعية »

●●●

أما جنرال (**ر.ف. بودلى**) فيقول : « لقد ظلت أخلاق محمد ثابتة لا تتبدل أيًّا كان العمل الذى يعمله سواء ، أكان يرعى غنمه فى سكون البادية ، أم يبيع عطوره أو انماطه فى الشام ، ولم تتبدل أمانته ، ولم يتغير صدقه ، بل بقيت فضائله ثابتة على الأيام . وكان حاضر البديهة عذب الحديث ، معنياً بملابسه وهندامه ، وما كان ثرثاراً وإن كان صادق الترحاب بمن يقبل عليه » .

●●●

ويقول « **سير وليم ميور** » : « إن من صفات محمد الجديرة بالتنويه الرقة والاحترام اللَّذَيْن يعامل بهما أتباعه حتى أقلهم شأناً ، فالرقة والتواضع وانكار الذات والرأفة والأناة والسماحة والسخاء تغلغلت فى نفسه فأحبه كُلُّ مَنْ حوله ، وكان يكره أن يقول : (لا) ، فإذا لم يتمكن من أن يجيب طالبه فضّل السكوت .

وهكذا .. فالباحث المحايد الدقيق إذا بذل أدنى عناية فى البحث انكشف له من الحقائق ما يبهر اللب بسطوعه ولمعانه ولآمن عن صدق وبينة أن محمداً ـ ﷺ ـ هو الأسوة الحسنة وخاتم الأنبياء والمرسلين (**) .

(**) أنظر فى هذا الشأن :

(١) سيرة سيد المرسلين	أبو الفيض المنوفى
(٢) الاسلام من خلال مبادئه التأسيسية	د. محمد غلاب
(٣) حياة محمد	د. محمد حسين هيكل
(٤) جوهر الاسلام	أنور الجندى
(٥) الاسلام والمستشرقون	محمد الدسوقى
(٦) الرسالة الخالدة	عبدالرحمن عزام
(٧) رسول الله	اتيان دينيه ترجمة د. عبدالحليم محمود

١٠ـ

محمد صلى الله عليه وسلم
وخلقه
في القرآن

ولد محمد - ﷺ - الأسوة الحسنة كامل الخلق والمروءة .. وعاش ولم يكن للبيئة سلطان على نفسه ، بل كانت القيم العليا فى أعلى مراتبها ، وطلب الحق والثبات عليه ، أبْيَنَ صفاته الحميدة .

وكيف لا والحق تبارك وتعالى يقول فى محكم كتابه :

﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً ﴾(1)

نشرع معاً فى السقيا من جداول نهره - ﷺ - الزاخر بمكارم الأخلاق نستشعر من خلالها كل المعانى والقيم التى جعلت من صاحبها المثل الأعلى لأمته فيما يدعو إليه من صالح الأعمال وكريم الفعال .. حتى أصبحت أعماله وأقواله سنة مطهرة ، بعد ما ورد بكتاب الله من مكارم الأخلاق ، وبحسب تزكية الله سبحانه لرسوله الكريم إذ يقول : **﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾**(2) فهيا معى - **أخى المسلم** - فى كل مكان نعيش جوانب من أخلاق ومناقب النبى المصطفى ، الأسوة الحسنة الذى قالت عنه السيدة عائشة - رضى الله عنها - : « **كان خلقه القرآن** » .. وقال هو عن نفسه : « **أدبنى ربى فأحسن تأديبى** » .

ولعل أول ما يجب أن نتأسى به **شجاعة** النبى - ﷺ - .

---

(1) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

(2) سورة القلم الآية ٤ .

عرّف **أرسطو** الشجاعة بقوله : إننا نخاف الأشياء التى من شأنها أن تُخَاف ، وهذه الأشياء هى الشرور ، فالخوف إذًا : هو تصور الشر سواء أكان عاراً أو فقراً ، أم مرضاً أو موتاً .. غير أن الرجل الشجاع تظهر عليه الشجاعة ضد جميع الشرور بلا استثناء .

جاء النبى ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ لقومه بدعوة جديدة فى قبولها ، قلب حياتهم رأساً على عقب ، فلم تتناول تلك الدعوة دينهم وحده ، بل شملت حياتهم كلها ، وفى جميع مظاهرها : السياسية والاجتماعية والاقتصادية ــ أى المالية ــ ولم يكن من الطبيعى أو المألوف أن ينكروا ما وجدوا عليه آباءهم وبلادهم طواعية ، فكان لا بد ــ إذن ــ من العمل على مقاومة هذه الدعوة وردها ، وقهر صاحبها ليرجع إلى الصف الذى خرج عنه . فيعظم حرماتهم التى يعظمون ، ويعبد أصنامهم التى يعبدون .

وإذا ما تصورنا ذلك كله أدركنا ما ينبغى لمثل كفاح النبى ــ ﷺ ــ فى سبيل نشر دعوة الله من الشجاعة والصبر .. والشجاعة والصبر هما عماد البشرية يمسكانها على الأرض كما تمسكها الجبال أن تميد بمن عليها .

وقد ضرب النبى ــ ﷺ ــ للناس أمثلة فى الشجاعة هى النور فى تاريخ الحياة يهدى إلى الحق وإلى الرشد وإلى الصراط المستقيم .. وقد امتحنت شجاعة النبى ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ طول حياته فما تطرق إليها وهن ، بل لازمته منذ الصبا ، فهو فيها المجلى فى الجاهلية والإسلام .

استُحْلِفَ النبى ــ ﷺ ــ مرة وهو صبى باللاّت والعزى فقال : « لا تسألنى بهما شيئاً ، فوالله ما بغضت شيئاً بغضى لهما » .

هذا الصبى يتحدث بهذه الجرأة عن آلهة القوم فى غير ما خوْف ، لا يخشى بَطْشاً ، وهو المشهور بالحياء حتى قيل عنه : « **إنه كان أشد حياءاً من العذراء فى خدرها** » .

والشجاعة التى اختص وامتاز بها رسولنا الكريم ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ هى شجاعة متعددة الألوان ، متنوعة الدروب تجمعها شجاعة الرأى ،

وشجاعة الحرب ، وغاية شجاعة نبينا -ﷺ- هى اعلاء كلمة الله ، والدفاع عن التوحيد الخالص ، وحماية الإسلام من عدوان المشركين ، وتحرير الناس من أغلال الوثنية ، وأوهام الاستعباد وأصفاد الفساد ، ومخازى العقائد والنظم ، ومفاسد الأخلاق لتحل محلها أسمى عقيدة ، وأصلح نظام فى السياسة والإدارة والمعاملات والإجتماع بل وفى كل نواحى الحياة .

ولقد كان المسلمون يعجبون بشجاعة رسول الله - ﷺ - أعجاباً تتضاءل أمامه شجاعتهم .. يقول الإمام على - رضى الله عنه - : كنا إذا حمى البأس اتقينا برسول الله - ﷺ - فما يكون أحد أقرب منه إلى العدو ، ولقد رأيتنى يوم بدر ، ونحن نلوذ بالنبىّ ، وهو أقربنا إلى العدو ، فكان يومئذ أشدنا بأساً » .

خرج على قومه مفاجئاً بالدعوة التى كرهوها .. وشجاعته وهو يصابر على الأذى والسخرية .

وشجاعته وقد تعاهدت قريش فى صحيفة علقت بالكعبة الشريفة على مقاطعة عمه أبى طالب ومن تبعه من بيت هاشم والمطلب لحمايتهم له فبقوا فى الشدة ثلاث سنوات ، وهو على هذا دائب على أن يصلى فى البيت ويجهر بالقرآن الكريم ...

وشجاعته وقد بعث أنصاره إلى الحبشة فراراً من الأذى والموت ، وصبره هو بعدهم وحيداً يتعرض للأذى والموت ..

وشجاعته وقد مات عمه أبو طالب وزوجه خديجة فى أيام متتابعات ، وكان فى عمه وزوجه النصير والوزير .

ثم يبقى بعد ذلك قائماً بمكة المكرمة تمر الحادثات عليه كأنها الأعاصير تقصف ، ولكنه شامخ كالطود ، راسخ كالجبال ، وحيداً إذ يعرض نفسه على القبائل ، ويلقى السخرية ، وأشنع الردود بالقول والفعل حتى إذا ما انصرف كل أنصاره مهاجرين إلى يثرب ، جاء البيت يوماً بعد يوم يقيم صلاته ونسكه جهراً ، ويتلو القرآن الكريم جهراً .. أليس فى هذا منتهى الشجاعة ؟.

تلك مواقف عندما تعرض فهى صورة من البطولة والشجاعة والثبات على المبدأ تنشرح لها صدور الأبطال فى كل جيل وأمة .. وتجعل إمامة نبينا ـ ﷺ ـ فى الشجاعة والإقدام محط أنظار الأجناس والأذيان سوداً وبيضاً موحدين ومشركين .

●●●

ولو تركنا خلق الشجاعة قولًا وعملًا عند رسول الله ـ ﷺ ـ وانتقلنا إلى **تواضعه وتياسره** ـ ﷺ ـ نجدهما صفة بينة من صفات النبى ـ ﷺ ـ فبهما كان محمد ـ ﷺ ـ صورة صادقة لكرامة الإنسان يؤتاها من صميم نفسه ، ولا يصطنعها مما يحيط به من مظاهر خادعة متكلفة ، نراه ـ ﷺ ـ فى حياته كلها مثالًا كاملًا للتواضع والعبودية الصادقة لله سبحانه وتعالى يقول : « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأشرب كما يشرب العبد » .

وتسأل السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ عما كان يصنعه النبى ـ ﷺ ـ فى بيته فتقول : « يكون فى مهنة أهله (يعنى خدمة أهله) فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة » .

ويحكى ـ ﷺ ـ عن نفسه ما هو أبلغ فى نفى صفة الكبر .. فيقول : « ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم قال أصحابه : وأنت ؟ قال : نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة » ..

وعندما دخل الرسول الكريم ـ ﷺ ـ مكة فاتحاً لقيه رجل ، وأراد أن يكلمه ، لكنه خاف لهيبة موكب النبى ـ ﷺ ـ ولما رأى الرسول الرجل وأدرك ما به من رهبة وخوف ، قال له فى تواضع ليزيل ما به : « هون عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد » .

وكان ـ ﷺ ـ فى تياسره جم التواضع ، وافر الأدب يبدأ الناس بالسلام ، وينصرف بكله إلى محدثه صغيراً أو كبيراً ، ويكون آخر من يسحب يده إذا صافح ، وإذا تصدق وضع الصدقة بيده فى يد المسكين ، وإذا أقبل جلس حيث ينتهى المجلس بأصحابه ، لم يكن يأنف من عمل يعمله لقضاء

حَاجته أو حاجة صاحب أو جار .. فكان يذهب إلى السوق ويحمل بضاعته ويقول : « أنا أولى بحملها ، ولم يستكبر عن عمل الأجير والفاعل سواء كان فى بناء مسجد المدينة أو فى الخندق ، وهو الرسول الخاتم محمد ـ ﷺ ـ .

فخلق التواضع والتياسر عند النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ هما ضرورة من ضرورات بناء المجتمع الفاضل ، وَالْكِبَر : على النقيض منهما يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ... ﴾(١)

ويقول عز من قائل :

﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾(٢)

أما الرسول ـ ﷺ ـ فيقول :

« إن الله أوحى الىّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد » .

ولقد ندد الله سبحانه وتعالى بمن يمشى متبختراً متمايلًا ـ مشى الجبارين ـ أبلغ التنديد فقال :

﴿ ولا تمش فى الأرض مرحاً ، إنك لن تخرق الأرض ، ولن تبلغ الجبال طولًا ﴾(٣)

ويقول ـ ﷺ ـ : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كِبْر . فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسناً قال : « إن الله جميل يحب الجمال ... الكبر بطر الحق ، وغمط الناس »(**) .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

(٢) سورة الشعراء الآية ٢١٥ .

(٣) سورة الاسراء الآية ٣٧ .

(**) وبطر الحق : دفعه ورده على قائله ، وغمط الناس : احتقارهم .

يقول (السير وليم موير) وهو من أشد نقاد النبى - ﷺ - فى وصف تواضعه وتياسره : « كانت السهولة صورة من حياته كلها ، وكان الذوق والأدب من أظهر صفاته فى معاملته لأقل تابعيه ، فالتواضع والشفقة والصبر والايثار والجود صفات ملازمة لشخصه وجالبه لمحبة جميع من حوله ، فلم يعرف عنه أنه رفض دعوة أقل الناس شأناً ولا هدية مهما صغرت ، وما كان يتعالى ويبرز فى مجلسه ، ولا شعر أحد عنده أنه لا يختصه بإقباله وإن كان حقيراً .

وكان إذا لقى من يفرح بنجاح أصابه ، أمسك يده وشاركه سروره ، وكان مع المصاب والحزين شريكاً شديد العطف ، حسن المواساة ، وكان فى أوقات العسر يقتسم قوته مع الناس ، وهو دائم الاشتغال والتفكير فى راحة من حوله وهناءتهم » .

●●●

أما جانب خلق **الوفاء بالعهد** عند رسول الله - ﷺ - فما أحرانا اليوم أن نتمثل به أفراداً وجماعات ، حكاماً ومحكومين . فمن خلق الإسلام الوفاء بالعهد .... دعا إليه ، وحض عليه ، وأثنى عليه الحق تبارك وتعالى فى كتابه العزيز ، ونسبه إلى ذاته توثيقاً له ، وتأكيداً لأمره ، ورفعة لشأنه يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ... ﴾(١)

﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ... ﴾(٢)

﴿ الذين يوفون بعهد الله . ولا ينقضون الميثاق ... ﴾(٣)

﴿ وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولًا ... ﴾(٤)

---

(١) سورة النحل الآية ٩١ .
(٢) سورة المؤمنون الآية ٨ .
(٣) سورة الرعد الآية ٢٠ .
(٤) سورة الاسراء الآية ٣٤ .

أما المثل الأعلى سيد الأولين والآخرين فيقول : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم : رجل منع ابن السبيل فضلَ ماء عنده ، ورجل حلف على سلعة بعد العصر يعنى كاذباً ، ورجل بايع إماماً فإن أعطاه وَّفى له ، وإن لم يَعْطِهِ لم يف له » .

نعـم :

الوفاء من مكارم الأخلاق ، به تستقيم الدنيا فهو ميزان المروءة ومقياس الفضل بين الناس جميعاً ، ولو دانوا به لوجدوا السعادة كاملة ... فالوفاء بالعهد يحدث فى نفس الْوَفِىِّ من الغبطة ما لا حَدَّ له .. وفى نفس المُوفى له الرغبة فى البر والمروءة ، واصطناع المعروف .. والأمم الوفية لعهودها ومواثيقها تُبْتَغَىَ صداقتها ويرغب فى معاهدتها ، ويوفى لها بذمتها .

ولو أن العهود والمواثيق كان لها من الحرمة ما أراد النبى ـ ﷺ ـ لما هبط العالم إلى حياة الدس والكيد والغزو والسلب والنهب والذم الخربة والجوار المنتهك ...

ولو سار المسلمون على النهج الذى نهجه الإسلام لاقتدى بهم غيرهم ، ولوضعت العلاقات الدولية على أثْبَت القواعد التى تكفل الأمن والآمان ، وتضمن الانصاف ، وتستبقى الكرامة للإنسان .

أنظروا إلى هذا المثال نسوقه لتروا صوراً من الوفاء هى أروع ما ينظر إليه الناس : قبل سنة من صلح الحديبية كانت قريش تحاصر المدينة وقد جمعت لذلك القبائل والأحزاب من أهل القرى والأعراب فنقض بنو قريظة عهدهم مع الرسول ـ ﷺ ـ واشتد بذلك الكرب ، وزلزل المؤمنون زلزالًا شديداً ، ولكن الله سبحانه نصر عبده ، وأعز جنده ، وألقى الرعب والخوف فى قلوب الذين كفروا ...

ولم تمض إلا فترة وجيزة حتى كان جيش الإسلام بقيادة قائد القواد المؤزر من السماء النبى ـ ﷺ ـ يزحف إلى مكة المكرمة وينزل الحديبية ، وتبعث قريش رسلها إلى النبى ـ ﷺ ـ فها هو ذا عروة بن مسعود الثقفى رسولها يعود إليها يصف حال محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وجنده بهذه العبارة :

«إنى قد جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه ، والنجاشى فى ملكه .. وإنى والله ما رأيت ملكاً فى قومه قط مثل محمد فى أصحابه » .

ثمَ انظروا إلى مقام الوفاء فى نفس النبى ـ ﷺ ـ وهو يقول يوم أحد حين أمر بدفن القتلى : « أنظروا إلى عمرو بن الجموح ، وعبد الله بن عمرو ابن حرام فإنهما كانا مُتصافين فى الدنيا فاجْعلوهما فى قبر واحد » .

ذلكم هو الوفاء الذى نحن أبناء العالم من أقصاه إلى أقصاه فى أشد الحاجة إليه ، ولن يستقيم عالمنا اليوم حتى يتذوقه الناس ، وحتى يؤمنوا به إيمان محمد ـ ﷺ ـ وأصحابه الأبرار .

فإذا كان القرآن الكريم بشريعته ـ شريعة الحق شريعة الله ـ قد أثنى ثناءاً عاطراً على خلق الوفاء بالعهد ... خلق الرسوْل الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فقد ذم الحق تبارك وتعالى أبلغ الذم نقيض هذا الخلق .... وهو خلف الوعد ، وجعل ذلك سبباً للنفاق .

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ ... ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصَّدَّقَنَّ ولنكونَنَّ من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله بخلوا به ، وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾(١)

●●●

والزهد والقناعة من خلق الرسول ـ ﷺ ـ ، ولقد ضرب بزهده وقناعته المثل الأعلى للناس جميعاً للراعى والرعية ، والأفراد والجماعات ... أنظروا إلى العالم الذى نعيش فيه فإنه يشكو الجشع الذى أصاب أهله فلا الغنى قانعٌ بآلافِهِ وَمَلايينه ، ولا الفقير راضٍ بالكفاف من العيش .

جاء النَّبىُّ ـ ﷺ ـ والناس على مثل هذه الحال لا يعرفون فضلًا إلا للأموال والأحساب ، ولا يدركون من لذة التقوى ومتاع الروح شيئاً ،

(١) سورة التوبة الآية ٧٥ ـ ٧٧ .

فضرب النبى – ﷺ – مثلًا من نفسه فى القناعة والزهد واحتقار الدنيا ، فصرف الناس عما هم فيه ، وأخرج الصحابة الزهاد الذين جعلوا للحياة الروحية المقام الأول فاتخذوا الدنيا مطية إلى ما هو أسمى منها .

وضرب النبى – ﷺ – المثل من نفسه فى فقره وغناه ، وضعفه وقوته ، ضربه وهو محاصر مع أهله فى الشّعْبِ ، وضربه وهو مُلْتَجِىءٌ إلى المدينة وهو يقيم دولة الإسلام فيها ، وبعد أن أقامها وبعد أن ملك الأموال والرقاب فى جزيرة العرب كلها . فكان يَهَبُ هبات الملوك فيعطى الغنى ، ويرجع إلى داره وفراشه فيها الحصير وطعامه خبز الشعير .

قال ابن مسعود : دخلت على رسول الله وقد قام على حصير ، وقد أثر فى جنبه فقلت : يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءاً تجعله بينك وبين الحصير يقيك منه ؟ فقال : « مالى وللدنيا ، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » .

والذين يقرءون بإِمْعَانٍ سيرتَهُ الكريمة يرون مطابقة أقواله وأفعاله فى كل أطوار الحياة مطابقة تامة ، فلم يكن يخش الفقر أكثر مما يخشى الثروة والغنى ، وكان يكره الكنز ويقول : « إنه لم يترك فى بيته ثلاثة دنانير يضم إليها دينار آخر إلا لقضاء دين » ، وكان يقول : « اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا ، وقيل قوتاً » (أى لا يزيد على الحاجة) .

وكان زهد رسول الله – ﷺ – المثل الأعلى فى الزهد لأنه كان زهد المختار القادر ، المؤمن بأن الاستمتاع المباح حلال ، المؤثر على نفسه فقراء الأمة ومصالح الإسلام ، وهو بزهده ربى كثيراً من الرجال فتخلقوا بمثل خلقه فانصرفوا عن الخضوع لِلَّذَاتِ ومآرِبِ النُّفوس ، وآثروا غيرهم على أنفسهم كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم من كبار أصحابه وولاة الأقاليم فصار زهدهم تربية وتنمية ، أما **التربية** : فللنفوس ، وأما **التنمية** : فلإسعاد الناس ولتقوية الأمة .

ولعل من مظاهر زهد النبى ـ ﷺ ـ أنه لم يستأثر بشىء من المال الكثير الذى تدفق من الغنائم والفىء والجزية والصدقات والهدايا ، بل اقتصر على الْخُمُس ، ثم لم يمسك درهماً من هذا الخمس بل أنفقه فى وجوهه ، وقوى به المسلمين واسعد به غيره ، وكثيراً ما حضَّ النبى على الزهد كقوله :

« إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه فى المال ، والخلق فلينظر إلى من هو اسفل منه ، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله تعالى عليكم »

وقوله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ « عليكم بالقناعة فإن القناعة مالٌ لا ينفد » .

●●●

وجانب عظيم من جوانب شخصية النبى ﷺ هو جانب **رحمته وبره** الذى لا يدانيه فيه أحد ، وهو صورة لنفسه الكريمة فى أيام فقره وغناه ، وضعفه وقوته ، فقد كان البر إمامه والرحمة محيطة به وهو الذى يقول : « **إن البر يهدى إلى الجنة .. ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء ، لا يرحم الله من لا يرحم الناس . الراحمون يرحمهم الرحمٰن ، لا تنزع الرحمة إلا من شقى** ».

ولقد وصفه القرآن الكريم بصفة الرحمة فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾(1)

والرحمة من صفات الحق تبارك وتعالى فهو القائل : ﴿ **إن رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾(2)، ﴿ **ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون** ﴾(3)، ﴿ **وربك الغفور ذو الرحمة** ﴾(4)

---

(1) سورة التوبة الآية ١٢٨ .
(2) سورة الأعراف الآية ٥٦ .
(3) سورة الحجر الآية ٥٦ .
(4) سورة الكهف الآية ٥٨ .

وقد تردد وصف النبى ﷺ بالرحمة فى كتاب الله العزيز .. يقول سبحانه : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾[1]، ﴿ ... **واخفض جناحك للمؤمنين** ﴾[2].

وتعددت مظاهر رحمته صلى الله عليه وسلم وتنوعت فوسعت المسلمين وغير المسلمين ، والأحرار والأرقاء ، وامتدت إلى الكبار والصغار ، واستوعبت الأناسى والحيوان .

وكثيراً ما أمر رسول الله ﷺ بالرحمة ، وكثيراً ما نهى عن القسوة ، وهو فى أمره وفى نهيه يضرب الأمثال للناس لعلهم يعقلون ، قال صلى الله عليه وسلم : « **من لا يرحم لا يُرحم** » ، وقال : « **من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا فليس منا** » .

هذا هو خلق الرسول ﷺ ، الصورة الكاملة للمسلم ، والنموذج الحى للإسلام نبى الرحمة والشفقة بالناس جميعاً .

وحسبه صلى الله عليه وسلم أن تبلغ رحمته بأعدائه أن يستغفر لموتاهم حتى ليقول له ربه : ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** ﴾[3]، فيقول صلى الله عليه وسلم : « **لأزيدن فى الاستغفار لهم على سبعين مرة** » رجاء منه أن يغفر الله لهم .

وموقف آخر عامل فيه النبى ﷺ أعداءه بفيض رحمته حتى ليعاتب فى ذلك من ربه ذلك يوم قبل الفداء من أسرى بدر مخالفاً الفاروق عمر بن الخطاب الذى أشار بإبادتهم ، ومستجيباً بذلك لنوازع الرحمة فى نفسه .

والرسول ﷺ يحث على الرحمة بالحيوان ، يقول : « **دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من حشاش الأرض** » ، ويقول صلى الله عليه وسلم : « **بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش**

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .
(٢) سورة الحجر الآية ٨٨ .
(٣) سورة التوبة الآية ٨٠ .

فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج ، وإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى ، فنزل البئر فملأ خفه ماء ، ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله تعالى له فغفر له ، قالوا : يا رسول الله وإن لنا فى البهائم لأجراً ؟ قال : فى كل كبد رطبة أجر » .

تلك هى الرحمة التى وسعت كل الخلائق ، وهى من خلق النبى ﷺ وهى التى يتسابق الناس إليها فيردون عن هذا المدى ، ويبقى رسول الله ﷺ المثل الكامل والقدوة الحسنة والرحمة المهداة للعالمين .

●●●

وخلق **الصدق** من آداب اللسان العالية ، وبه أمر الله سبحانه وتعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾[1]، والصدق فى حقيقة أمره متعدد الأنواع ، فهناك الصدق فى القول ، والصدق فى العمل ، وأيضاً الصدق فى النية ، والمؤمن الصادق هو المتصف بالصدق فى هذه النواحى كلها .

وفى الذروة من الصدق ، الصدق فى النية ، وهو الإخلاص فيها ، وقد أمر الحق تبارك وتعالى به فقال : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء** ﴾[2].

ويقول النبى ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه** » .

ويصرح صلى الله عليه وسلم بعظم أمر الصدق وأنه الطريق إلى البر ، والبر طريق إلى الجنة فيقول : « **إن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى**

---

(١) سورة التوبة الآية ١١٩ .

(٢) سورة البينة الآية ٥ .

الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » .

ويعظم ترك الصدق ، ويشتد قبحه أن يصبر المرء بترك الصدق شاهد زور .

عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر . قلنا : بلى يا رسول الله . قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس وقال : ألا وقول الزور وشهادة الزور ، فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت »** .

وروى مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال : « **ما هذا يا صاحب الطعام ؟ » قال : أصابته السماء يا رسول الله . قال : « أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ، من غشنا فليس منا »** .

هذا هو الصدق فى الفعل ظاهره وباطنه فالإسلام لا يقبل الغش ، وشتان بين الإثنين الصدق فى العمل والغش فيه .

ولقد أجمع الذين عرفوا النبى ﷺ وخالطوه منذ صباه أنه صادق أمين ولم يسمعوا من فمه أكذوبة قط ، ولم يشككوا فى خبر من أخباره ، أو يرتابوا فى قول من أقواله .. وحسبكم أن العرب فى جاهليتهم كانوا يسمونه بالصادق الأمين . حقاً فالأمانة من خلق النبى ﷺ بما لها من شأن عظيم فى الحفاظ على أدائها على وجهها الصحيح ، فإن إنساناً يحفظ أمانات الله لديه من أعضاء ائتمنه عليها ، وتكاليف كلف بها ، إن إنساناً يحفظ هذه الأمانات لسعيد حقاً .

روى ابن أبى حاتم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « إن الشهادة تكفر كل ذنب إلا الأمانة ، يؤتى بالرجل يوم القيامة وإن كان قتل فى سبيل الله

فيقال له : أد أمانتك ، فيقول : فإنى أؤديها وقد ذهبت الدنيا ؟ فتمثل له الأمانة فى قعر جهنم ، فيهوى إليها فيحملها على عاتقه فتنزل عن عاتقه فيهوى على أثرها أبد الآبدين » .

هذا وما أشقى المجتمع الذى يسوده الخلق المقابل للأمانة ، وهو الخيانة ، يقول صلى الله عليه وسلم :

﴿ أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر ﴾ .

وإذا كانت الخيانة من صفات المنافقين ، فإن الأمانة من خلق النبيين والمرسلين .

وهكذا فالأمانة لها معنيان خاص ، وعام ..

أما **الخاص** فهو أن يرد الشخص المال أو المتاع أو غيرهما إلى من ائتمنه عليه ، وأما **العام** فيتسع لأكثر من هذا فيشمل كتمان السر وإخلاص المشورة للمستشير وصدق التبليغ فيما كلف الشخص أن يبلغه .

وأمانة رسولنا الكريم ﷺ كفضائله كلها شاملة كاملة متعددة .

وليس من شك فى أن مظهرها العظيم هو نهوضه ـ ﷺ ـ بتبليغ الرسالة التى ائتمنه الله عليها ، وكلفه أن يقوم بها ، فبلغها للناس أعظم ما يكون التبليغ ، وقام بأدائها أعظم ما يكون القيام ، واحتمل فى سبيلها أشق ما يحتمله بشر

●●●

ومن صفات الرسول ﷺ **الحلم** ، يراه « **أرسطو** » وسطاً بين سرعة الغضب والبلادة ، وليس الغضب مذموماً إذا كان خاضعاً ، أما المذموم فهو الغضب على من لا يستحق الغضب .

وهو عند « **الغزالى** » : انكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ، وكان الرسول ﷺ المثل الأعلى فى الْحِلْمِ لأن الله أدبه فأحسن تأديبه ، وأمره بقوله تعالى : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾(1).

وكانت أحاديث رسول الله ﷺ التى تحض على الحِلْمِ مظهراً قولياً من حلمه العملى ، يقول : « **إن الرجل ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم** » ، ويقول : « **من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وأماناً** » .

ويقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** ﴾(2).

وَرَغَّبَ الحق تبارك وتعالى فى خُلُقِ الْحِلْمِ والرفق فقال سبحانه :

﴿ **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم** ﴾(3).

ما أجمل الحلم والأناة اللذان تحلى بهما النبى ﷺ وهما خصلتان يحبهما الله سبحانه وتعالى .

●●●

ونمضى مع نماذج من القيم الخلقية التى يتصف بها رسولنا الأعظم ﷺ والتى كان منها **العدل** الذى عرفه ابن **مسكويه** بأنه فضيلة للنفس تحدث مع اجتماع الفضائل : (الحكمة ــ العفة ــ الشجاعة) وذلك عند مسالمة هذه القوى بعضها لبعض .

والمراد بالعدل هنا إعطاء كل ذى حق حقه ، بغير تفرقة بين المستحقين ومؤاخذة المسيىء أو المقصر على قدر إساءته وتقصيره بدون إعنات أو محاباة ، وأمر النبى ﷺ بالعدل حتى مع الأعداء ، كما أمر بالعدل بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إلى المسلمين .

---

(1) سورة الأعراف الآية ١٩٩ .
(2) سورة آل عمران الآية ١٣٤ .
(3) سورة فصلت الآية ٣٤ .

واستقى النبى ﷺ العدل من التربية الإلهية والأخلاق القرآنية ، وكانت فطرته السليمة مهيأة للعدل منذ شبابه ، فقد اشترك فى حلف تحالف أصحابه على مقاومة الظلم ، وإنصاف المظلومين .

جاء الإسلام والناس طبقات ، والعرب درجات فسوى بينهم مساواة حقيقيةً واقعية ، لم يعرف العالم مثلها من قبل ، ولا من بعد ، فلا عبرة بالحسب ، ولا بالمال ولا بالجاه ، ولا باللون ، بل العبرة بالأخلاق الفضلى وبالتدين الصحيح ، قال سبحانه وتعالى :

﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾(١).

ولقد حض النبى ﷺ على العدل والمساواة ، فقال : « **لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان** » ، « **المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته** ».

●●●

ومن خلق الرسول ﷺ **إيثاره السلام** ، يدعو إليه دائماً ، ويؤثر الوئام على الخصام ، وهو بتربيته القرآنية رسول سلام ومحبة ، ما وجد سبيلًا إلى سلام ومحبة ، فإن لم تكن من الحرب مندوحة فليقابل القوة بالقوة .

وكان النبى ﷺ محباً للسلام مؤثراً له لأن هذا الإيثار هو الذى رباه عليه القرآن الكريم ولأنه يتفق وشمائل النبى كلها ، يقول صلى الله عليه وسلم : « **أفضل الصدقة إصلاح ذات البين** » .

والقرآن يدعو إلى السلام ويسمى الجنة دار السلام : بقوله عز من قائل فى محكم كتابه : **﴿ لهم دار السلام عند ربهم ﴾**(٢) ، **﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ، وأعد لهم أجراً كريماً ﴾**(٣) ، على أن السلام من أسماء الله ، قال تعالى : **﴿ هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام ﴾**(٤).

---

(١)سورة الحجرات الآية ١٣ .
(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٧ .
(٣) سورة الأحزاب الآية ٤٤ .
(٤) سورة الحشر الآية ٢٣ .

ومن خلق الرسول ﷺ حضه على **العمل** ، فالإسلام عقيدة وشريعة وعمل ، والعمل يشمل العبادات والطاعات ، والنشاط المبذول فى كسب الرزق ، وفى تنمية الإنتاج والخيرات .

لهذا أمر الله عباده بالسعى فى مناكب الأرض ابتغاء فضله .

قال تعالى : ﴿ **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون** ﴾[1].

ذلك لأن الإسلام لا يريد أتباعه كسالى متواكلين ينظرون إلى العمل نظرتهم إلى الشقاء والنقمة ، ويغفلون عما فيه من خير وسعادة ونعمة ، بل يربيهم على العمل وتقديره على أنه واجب الإنسان فى الحياة ، وحق للحياة عليه ، فهو يأخذ من الحياة ومن المجتمع ويرقى فعليه أن يعطى لقاء ما أخذ ليسهم فى ترقية الحياة ، وفى خير المجتمع .

لم يكتف الرسول ﷺ بالإرشاد والنصح ـ لأن النصح فى حاجة إلى قدوة ـ بل نصح ، وكافح ، ونافع ، وقال ، وعمل بما قال ، فكان أعظم مثل يحتذى .

كان فى صغره وفى شبابه يرعى الغنم ، ثم مارس التجارة قبل النبوة ، قال صلى الله عليه وسلم :

« ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود ـ عليه السلام ـ كان يأكل من عمل يده » ، « خير الكسب كسب يد العامل إذا نضح » .

●●●

حتى **البشر والفكاهة** كانت من شمائل الرسول ﷺ فهل كان من اللائق بالرسول الأعظم البشير أن يكون عابس الوجه ، مقطب الجبين ، مكفهر المظهر ؟.. إن الضحك نزعة غريزية لها قيمة عظيمة فى حياة الفرد وحياة المجموع .

---

(١) سورة الجمعة الآية ١٠ .

وإذا كان البشر حميداً فهو أحمد من رسول الله ﷺ الذى نشأ فى الأخلاق الكريمة ورباه الله أسمى تربية ، وعلمه أحسن تعليم .

كان رسول الله ﷺ سمح النفس ، طاهر القلب ، عظيم الصبر ، راسخ الحلم ، كثير العفو ، بيّن الزهد ، جم التواضع ، موصول الرحمة ، حلو الشمائل كلها ، فلا عجب إن كان يتفكه حيناً ، ويطرب للفكاهة أحياناً ، لأنه كما جاء فى وصف السيدة عائشة له : « ما خير بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « **روّحوا القلوبَ ساعةً بعد ساعة فإن القلوب إذا كَلَّتْ عَمِيَتْ** » ، وقال : « **إن الله يحب الرفق فى الأمر كله** » .

●●●

وهكذا ..

يتجلى من هذه الوقفات القصار أمام أخلاق الرسول الكريم ﷺ أنه برسالته الخالدة ، وبأدبه الإلهى ، وبأخلاقه القرآنية ، الإنسان الكامل والمثل الأعلى ، ومالك الفضائل المتآزرة فى أعلى صورها . فى سلمه ، وحربه ، وفى بيته وبين صحبه ، وفى رضاه وغضبه ، وفى سره وجهره ، وفى وحدته واجتماعه ، ومع أعدائه وأتباعه ، ومع الأقوياء والضعفاء ، ومع الأحرار والأرقاء ، ومع الرجال والنساء ، وفى كل شأن من شئونه جل أو صغر .

قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : « كان خلقه القرآن » .

وأثنى الله سبحانه وتعالى عليه بما لم يثن على نبى من أنبيائه فقال : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾(١).

---

(١) سورة القلم الآية ٤ .

★★(١) أبرز صفات النبى ﷺ	عبد الرحمن عزام
(٢) البداية والنهاية	ابن كثير
(٣) شمس الله تسطع على الغرب	د. سيجريد هونكه
(٤) أخلاق إسلامية من القرآن والسنة	د. الحسينى أبو فرحة
(٥) من أخلاق النبى	د. أحمد الحوفى
(٦) محمد ـ ﷺ ـ	د. مصطفى كمال وصفى
(٧) السيرة	ابن هشام

١١ـ
كلمات من نور

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ
أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾

يا سيدى يا رسول الله ، إن كل ما نطقت به هو الهدى ، هو الرحمة ، هو النور ، هو الشفاء للقلوب ﴿ وما ينطق عن الهوى ، إن هو الا وحى يوحى ﴾(١).

كيف لا وكانت البشرية تعيش قبلك فى جهل وضلال ، خلاف دائم وشكوك وأوهام ، وارتكاب للمعاصى والآثام ، وعبادة للأصنام والأوثان **﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون ﴾**(٢).

إلى ان اقتضت الرحمة الالهية أن تُبعثَ فى الناس كافة رسولًا ونبيًا لتخرجهم من الظلمات إلى النور ... من الضلال إلى الهدى ، وكانت رسالتك الإسلام .. ايمان وتوحيد ... سلام ومحبة .. اخلاص ومسئولية ... قيم عليا ومبادىء إنسانية رفيعة ، تهدى إلى صراط الله المستقيم ، وتنير طريق السالكين إلى عبادة الله رب العالمين ، وتعمّ النفحات ربوع الدنيا بأثرها ، وبذلك يتحقق فيهم قول الحق تبارك وتعالى : **﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ﴾**(٣) وكذلك قولك يا سيدى يا رسول الله : « **تركت فيكم ما إن تمسكتم به ـ لن تضلوا بعدى أبدًا ـ كتاب الله وسنتى : عضوا عليها بالنواجذ** » (رواه البخارى ومسلم) .

---

(١) سورة النجم الآية ٣ ، ٤ .
(٢) سورة الزخرف الآية ٢٣
(٣) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

سيدى يا رسول الله استسمحك بعد عرضى للمحات من سيرتك الشريفة ، وأضواء من هديك أن اسجل نماذج من خطبك ليقتدى بها الدعاة فى الإيجاز والتخفيف على الناس ومراعاة مقتضى الحال ، والدخول المباشر فى عرض القضايا المطروحة على ساحات المسلمين فى كل مشارق الأرض ومغاربها .

* * *

●● خطب النبى ـ ﷺ ـ يحث على التوبة قال :

« الا أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا ، وبادروا الأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له ، وكثرة الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا وتؤجروا وتنصروا ، واعلموا ان الله عز وجل قد افترض عليكم الجمعة فى مقامى هذا فى عامى هذا فى شهرى هذا إلى يوم القيامة ، حياتى ومن بعد موتى ، فمن تركها وله إمام فلا جمع الله له شمله ، ولا بارك له فى أمره ، الا ولا حج له ، الا ولا صوم له ، الا ولا صدقة له ، الا ولا بر له ، ومن تاب تاب الله عليه ، الا ولا يؤم أعرابى مهاجرًا ، الا ولا يؤم فاجر مؤمنًا الا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه »(١).

* * *

معانى متعددة فى بضع كلمات ... إنه الإيجاز ، السهل الممتنع .

● نعم ...

إن حياة المسلم .. فى طريقه إلى الله سبحانه وتعالى إنما تبدأ بالتوبة ، وليس قبل التوبة من درجة تسبقها ، والتوبة التى نقصدها ، وحض عليها الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إنما هى التوبة الخالصة النصوح فإن الله تعالى يقول :

﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ﴾(٢)

---

(١) أنظر إعجاز القرآن ص١١١ ، وابن ماجه جـ١ ص١٧٣ .

(٢) سورة التحريم الآية ٨ .

ولأجل أن تكون التوبة خالصة نصوحًا ، فإنه لا بد من توفر شروط يحددها الإمام النووى فى كتابه : « رياض الصالحين » يقول : التوبة واجبة من كل ذنب ، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آمى فلها ثلاثة شروط :

أحدها : أن يقلع عن المعصية .

والثانى : أن يندم على فعلها .

والثالث : أن يعزم على أن لا يعود إليها أبدًا .

فإن فقد أحد الثلاثة فلا تصح التوبة ، وإن كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة ، الثلاثة وأن يبرأ من حق صاحبها ، فإن كانت مالًا أو نحوه رده إليه ، وإن كان حَدّ قذف أو نحوه مكّنه منه أو طلب عفوه ، وإن كانت غيبةً استحله منها .

ولأن التوبة أول سلمٌ فى معراج السالكين إلى الله ، ولأنها واجبة من كل ذنب ولأنها تجُبُّ من قبلها ، ولأنها تضع الإنسان ـ فور تحققه بها ـ فى مرتبة البراءة والطهارة والنقاء ـ فإن الإسلام حث عليها كثيرًا .. يقول الله سبحانه وتعالى آمرًا بها :

﴿ وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾(١) .

وقد فتح الله باب التوبة على مصراعيه فقال جل جلاله فى أسلوب كلّه رحمة ورأفة :

﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾(٢) .

ويتابع القرآن الكريم دستور الأمة المحمدية التوجيه إلى التوبة ففى حديث قدسى يقول الله تعالى فيه :

« يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفرونى أغفر لكم » .

---

(١) النور الآية ٣١ .

(٢) الزمر الآية ٥٣ .

ويتابع ذلك كله الأحاديث النبوية الشريفة ... قال ـ ﷺ ـ : « **إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مُسيىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيىء الليل** » .

ورسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يعترف للبشر بالخطيئة كواقع لا يمكن انكاره فيقول : ـ « **كل آدم خطاء** » ولكنه ـ ﷺ ـ يرشد إلى الوسيلة التى تفضّل بعض الخطّائين ، وتجعل لهم منزلة فى الخير فيقول : « **وخير الخطّائين التوابون** »(**) .

* * *

●● فى رمضان على رأس تسعة عشر شهرًا من الهجرة المحمدية خطب رسول الله ـ ﷺ ـ يحث المسلمين على الاخلاص والصبر يوم وقعة بدر الكبرى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد ... فإنى أحثكم على ما حثكم الله عليه ، وأنهاكم عما نهاكم عنه ، فإن الله عظيم شأنه ، يأمر بالحق ، ويحب الصدق ، ويعطى على الخير أهله على منازلهم عنده ، به يذكرون ، وبه يتفاضلون وإنكم قد أصبحتم بمنزل الحق لا يقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغى به وجهه ، وأن الصبر فى مواطن البأس مما يفرج به الهم ، وينجى به من الغم ، وتدركون النجاة فى الآخرة ، فيكم نبى الله يحذركم ويأمركم فاستحيوا اليوم أن يطلع الله عز وجل على شىء من أمركم يمقتكم عليه ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ لمقت الله اكبر من مقتكم أنفسكم ﴾ .. أنظروا الذى أمرتكم به من كتابه ، وأراكم من آياته ، وأعزكم به بعد ذلة ، فاستمسكوا به يرضى به ربكم عنكم ، وأبلوا ربكم فى هذه المواطن تستوجبوا الذى وعدكم به من رحمته ومغفرته ، فإن وعده حق ، وقوله صدق ، وعقابه شديد ، وإنما أنا وأنتم بالله الحىّ القيوم إليه ألجأنا ظهورنا ، وبه اعتصمنا ، وعليه توكلنا ، وإليه المصير ، يغفر الله لى وللمسلمين »[1] .

(**) أنظر دلائل النبوة ومعجزات الرسول د. عبد الحليم محمود ص٢٩٥ بتصرف

(١) انظر إمتاع الأسماع للمقريزى جـ ١ ص٨١ .

تلك كلمات بينات .. قليلة الأحرف كثيرة المعانى ، حرص النبى - ﷺ - أن يسلح بها جنده عند ملاقاة المشركين يوم وقعة بدر .

اسفرت غزوة بدر الكبرى عن انتصار المسلمين على قريش التى أسر منها سبعون ، كما قتل سبعون من رجالاتها .. أما المسلمون فقد استشهد منهم أربعة عشر ، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار[1].

قدم النبى - ﷺ - بعد واقعة بدر مظفرًا ، فقد أعلى الله سبحانه وتعالى كلمته وأعز جنده ونصره ، وكان لهذا النصر نتائج بعيدة الأثر ، إذ دخل فى الإسلام عدد غير قليل من المشركين ، كما اضعف النصر شوكة اليهود والمنافقين حتى لم يبق يهودى أو منافق فى المدينة الا وقل كبرياؤه واحس بالهزيمة ونصر الله للمسلمين .

ونظرة لما انتهت إليه غزوة بدر من احراز المسلمين النصر على ثلاثة أمثالهم عددًا يحملنا على اعتبار وقعة بدر إحدى المعجزات التى منّ الحق تبارك وتعالى على رسوله بها ، ففيها أن ملائكة الرحمن مدوا المسلمين بالعون حتى انتصروا على جند قريش الذين يفوقونهم فى العدد والعتاد يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين** ﴾[2]

استفاد المسلمون من وراء انتصارهم فى موقعة بدر فائدتين :

احداهما : معنوية تتمثل فى وثوقهم بأنهم على الحق وأن خصمهم على الباطل .

وثانيهما : مادية وهى الغنائم التى اكتسبوها ، وكانت كثيرة من بينها إبل ومتاع وثياب وأسلحة[3]. وقد قسمها الرسول - ﷺ - بين المسلمين الذين اشتركوا فى هذه الواقعة ، والذين تخلفوا عنها بإذن منه[4]. كذلك أصبح

---

(١) انظر اليعقوبى جـ٢ ص٢٤ وامتاع الأسماع للمقريزى جـ١ ص١٠١ .
(٢) سورة الأنفال الآية ٩ .
(٣) إمتاع الأسماع جـ١ ض٩٩ .
(٤) ابن هشام جـ٢ ص٢٨٤ ، ص٣١٢ .

لدى المسلمين بما اسفرت عنه موقعة بدر من أحكام شرعية قواعد ثابتة يسيرون وفقها فى غزواتهم ، وعلى الأخص فيما يتعلق بالغنائم والأسرى ، وفى ذلك نزلت الآية الكريمة :

﴿ واعلموا انما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله ، وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان ، والله على كل شيءٍ قدير ﴾(1)(**).

ودعنا بعد فضل الله سبحانه نرد الانتصار على المشركين إلى حسن القيادة والإخلاص والصبر والتفانى من القيادة الرشيدة من القائد الأعظم محمد ـ ﷺ ـ فقد كان يحرص دائمًا على أن يتواجد وسط جنده ، ولا يبتعد عنهم ، بل يشرف على أحوالهم ويوجههم التوجيه السديد .

روى عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : كنا إذا اشتد الخطب ، وحمىّ الوطيس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ـ ﷺ ـ فما يكون أحد اقرب إلى العدو منه .

وهكذا كان القائد ، وهكذا تكون القيادة اخلاص وصبر وتفانى دائمًا قلب المعركة قيل ان أصحاب رسول الله بنوا له عرشًا يستظل تحته من شدة الحر ، لكنه ـ ﷺ ـ أبى أن يستقر فيه بالقدر الذى يتيح له متابعة جنده ، بهذه القيادة المثالية الحازمة الصادقة الرحيمة تربى جند الله فكان النصر والغلب دائمًا لهم فى كل غزو من غزواتهم ، وفى كل فتح من فتوحات الإسلام .

★ ★ ★

●● خطب رسول الله ـ ﷺ ـ فى المسئولية الفردية والجماعية ... عن ابن عمرو أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، وعبد الرجل

---

(1) سورة الأنفال الآية : ٤١ .

(**) انظر قيام الدولة العربية الاسلامية د/ جمال الدين سرور ص٨٦ .

راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، الا كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته[1].

★ ★ ★

نادى الإسلام بمسئولية الإنسان عما يفعل من الخير والشر يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **كل امرىء بما كسب رهين** ﴾[2].

نعم إنسان الإسلام مسئول أولًا عن ذاته يحافظ عليها ويحرسها ، وينقيها مما يصيبها يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولًا** ﴾[3] وإنسان الإسلام مسئول أيضًا عن غيره ممن يشاركه الحياة ويقاسمه الأرض ، هذه المسئولية تتناول كل نواحى الحياة وهى مسئولية تضمن الأمن والأمان والاستقرار ، بل والاطمئنان بين الناس ، فالإنسان كما هو مسئول عن ذاته ، فهو أيضًا مسئول عن غيره فالفرد هو اللبنة الأولى فى بناء المجتمع ، ومتى أحس الفرد بالمسئولية نحو ذاته أولًا أحس – لا شك – بالمسئولية العامة ثانيًا .

ولا عذر لإنسان فى التحلل من المسئولية ، فهو مسئول حسب منزلته بين ابناء مجتمعه ، ولا فرق فى المسئولية بين رجل وامرأة ، بين سيد ومسود . والشعور بالمسئولية يغرس فى النفس حب الإنسان لأخيه الإنسان والاجتهاد فى عمل الخير والعزوف عن الشر تحقيقًا لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب** ﴾[4].

وعن ابن عمر – رضى الله عنهما – أن النبى – ﷺ – قال : « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ... ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ... ومن فرّج على مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ... ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة** » .

---

(١) الأدب المفرد للبخارى جـ١ ص ٣٢ .
(٢) الطور الآية ٢١ .
(٣) الإسراء الآية ٣٦ .
(٤) المائدة الآية : ٢ .

ان الشعور بالمسئولية يبعث فى الفرد روح الجماعة، ويقضى على استبداد الفردية به فيقدم عن طيب خاطر مضحيًا براحته ليريح أسرته فمجتمعه، فالمسئولية قيمة مادامت توجه نحو الخير وإسعاد الآخرين فلا إهمال ولا رشوة ولا اغتصاب لحق ولا خداع لأمر كبر أو صغر فمن تسول له نفسه بعمل واحدة من هذه الأمور أو غيرها مما يماثلها لا يمكن أن يحس بمعنى المسئولية، بل ولا يعرف عنها شيئًا ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾[1].

إن مسئولية إنسان الإسلام، مسئولية يرجى من ورائها الفلاح والرحمة، وتقوم عليها العزة والغلبة يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله، إن الله عزيز حكيم** ﴾[2] هذا هو إنسان الإسلام السوىّ المسئول.

* * *

●● خطب رسول الله ـ ﷺ ـ فى تتبع العورات والسخرية من الناس.

عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: صعد رسول الله ـ ﷺ ـ المنبر فنادى بأعلى صوته: يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يفض (لم يصل) الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله (منزله) [3].

* * *

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون، فإن لم تجدوا فيها أحدًا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم، وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم، ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** ﴾[4].

---

(١) سورة فاطر الآية: ١٨.

(٢) سورة التوبة الآية ٧١ ـ وانظر الإسلام والإنسان د. إبراهيم عوضين ص ١٥٠ وما بعدها ط المجلس الاعلى للشئون الإسلامية.

(٣) أنظر التيسير جـ٢ ص٤١ أخرجه الترمذى.

(٤) النور الآية: ٢٧، ٢٨.

الآيات الكريمة جاءت بعد حديث الإفك الذى كان المدخل إليه هو هذا الحَدَث الذى شغل السيدة عائشة عن أن تكون فى الركب وقد لقيها على الطريق صفوان بن المعطل فحملها على بعيره والحقها بركب الرسول ـ ﷺ ـ فكان للمنافقين ومن فى قلوبهم مرض أن ينظروا إلى هذه الحادثة بنفوس مريضة وأهواء متسلطة وأن يَعْموا عن هذا الجوهر المصفىَّ الذى ينظرون إليه ... سواء فى ذلك أم المؤمنين أو الصحابى الذى كان فى خدمتها .

جاءت الآيات لتقيم المسلمين على أدب خاص يتصل بالبيوت وحرمتها حتى لا تكون مظنة لريبة أو موضعًا لتهمة ، وكانت الآيات أيضًا أول مادة فى دستور الأدب الربانى فى تزاور المسلمين وتواصلهم بلقاء بعضهم بعضًا فى البيوت أو دخولهم البيوت الغير المسكونة كالأمكنة العامة مثل النُّزُل والمطاعم ونحوها ما دام فيها منفعة(١) .

وحض الحق تبارك وتعالى على أن يغض المؤمنون من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ، وقدمت الآيات الرجال على النساء ، لأن النساء عورة ، والنظر إليهن يدعو إلى الفتنة أكثر من نظر النساء إلى الرجال .

﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾(٢) .

آيات موجهة إلى النساء وإلى ما ينبغى أن يأخذن أنفسهن به من أدب واحتشام حتى لا يتعرضن للفتنة أو يقعن تحت دائرة الشك أو الاتهام .

---

(١) أنظر التفسير القرآنى للقرآن/ عبد الكريم الخطيب دار الفكر العربى تفسير سورة النور .

(٢) النور الآية ٣٠ ، ٣١ .

ونهى الله سبحانه وتعالى عن السخرية من الناس أو أظهارهم بما ليس فيهم أو وصفهم بغير اللائق من الصفات يقول جل شأنه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاؤلئك هم الظالمون** ﴾[1].

هذه آداب عامة لا بد أن يتمسك بها كل مسلم ومسلمة فى معاملة الآخرين ﴿ **ويسخرون من الذين آمنوا ، والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ، والله يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾[2] وكان الرسول الكريم ـ ﷺ ـ حريصًا كل الحرص على وضع الضوابط السلوكية التى يجب أن يتحلى بها كل مسلم ومسلمة من خلال تعاليم القرآن الكريم دستور الأمة فى كل المجالات الخاصة والعامة وعلى مر الأيام والعصور .

* * *

●● خطب النبى ـ ﷺ ـ فى فضل رمضان . عن سلمان ـ رضى الله عنه ـ قال :-

خطبنا رسول الله ـ ﷺ ـ فى آخر يوم من شعبان فقال :

يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، جعل الله تعالى صيامه فريضة وقيامه تطوعًا ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان لمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه كان لمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد فى رزق المؤمن فيه ، من فطّر فيه صائمًا كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىء .

---

(١) الحجرات الآية ١١ .

(٢) البقرة الآية ٢١٢ .

قالوا يا رسول الله : ليس كلنا يجد من يفطر الصائم فقال رسول الله ـ ﷺ ـ يعطى الله عز وجل هذا الثواب من فطر صائمًا على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله تعالى له ، وأعتقه من النار ، استكثروا فيه من أربع : خصلتين ترضون بهما ربكم عز وجل ، وخصلتين لا غنى لكم عنهما .

أما الخلصتان اللتان ترضون بهما ربكم عز وجل فشهادة أن لا إله إلا الله وأن تستغفروه .

وأما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما فتسألون الله تعالى الجنة ، وتعوذون به من النار ومن سقى صائمًا سقاه الله تعالى من حوضى شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة »[1].

* * *

سبحانك ربى جعلت الصيام رمزًا لوحدة المسلمين الشاملة عندما خصصت لهم شهر رمضان المعظم يشتركون فى صومه على اختلاف أوطانهم جميعًا يقول سبحانه وتعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون .. شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾[2].

عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال ـ قال : رسول الله ـ ﷺ ـ : اتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه مردة الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم .

---

(١) أنظر الترغيب والترهيب جـ ٢ ص ١٨ ط صبيح .
رواه ابن خزيمة والبيهقى وابن حبان .
(٢) سورة البقرة الآية : ١٨٣ ـ ١٨٥ .

فرض المولى عز وجل الصوم على المسلمين فى السنة الثانية من الهجرة لليلتين خلتا من شهر شعبان ، وجعله سبحانه وتعالى عبادة متميزة عن سائر العبادات لأن الصيام كف وامتناع ، بينما العبادات الأخرى أقوال وافعال وبذل عن عبد الله بن عمر ــ رضى الله عنهما ــ أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام : أى رب منعته الطعام والشهوة فشفعنى فيه .

ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعنى فيه قال : فيشفعان » .

إن شهر رمضان المعظم شهر الارداة ، أدبه أدب الارداة ، وحكمته حكمة الارادة ، وليست الارداة بالشيء اليسير فى الدين والخلق ، فما الدين وما الخلق الا تبعات وتكاليف .. وعماد التبعات والتكاليف جميعًا أنها تناط بمريد ، ومن ملك الارادة فزمام الخلق جميعًا فى يديه .

وصوم شهر رمضان يربى فى النفس البشرية العزيمة الصادقة لأن الصائم يجاهد نفسه وهواه ، ويغالب شهواته ورغائبه ابتغاء مرضاة ربه متمثلًا بالمصطفى ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ... الصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل انى صائم انى صائم ، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ... للصائم فرحتان يفرحهما : إذا افطر فرح بفطره ، وإذا لقى ربه فرح بصومه » .

يقول أمير الشعراء أحمد شوقى : « الصوم حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع ، لكل فريضة حكمة وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة يستثير الشفقة ويحض على الصدقة ، ويكسر الكبر ، ويعلم الصبر ، ويسن خلال البر حتى إذا جاع من الف الشبع ، وحرم المترف أسباب المتع عرف الحرمان كيف يقع وألم الجوع إذا لذع » .

ويتألق الشهر المبارك ـ دائمًا ـ بنفحات الرحمن وذكريات النصر .. ففى السنة الثانية للهجرة يوم السابع عشر من الشهر الكريم انتصرت قوات الإسلام المؤمنة على قوات الكفر المشركة فى معركة بدر الكبرى .

﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾(1).

●● وفى رمضان من السنة الخامسة للهجرة كان الاستعداد لغزوة الخندق .

●● وفى السنة الثامنة للهجرة يوم الحادى والعشرين من رمضان انعم الله على رسوله ، وعلى المؤمنين بفتح مكة المكرمة .

●● وفى السنة التاسعة للهجرة شهد الشهر المعظم بعض احداث معركة تبوك ضد الرومان .

●● وفى شهر رمضان الكريم سنة احدى وتسعين للهجرة بدأ فتح الإسلام لبلاد الأندلس .

●● وفى رمضان من عام اربعمائة وتسعة وسبعون كانت معركة الزلاقة بأرض الأندلس بالقرب من مدينة قرطبة فى هذه الموقعة كانت الهزيمة المنكرة لاعداء المسلمين من الفرنج ، ونصر الله تعالى الإسلام نصرًا عزيزًا ، وصار يضرب بوقعة الزلاقة المثل .

●● ولا ننسى أن الله سبحانه وتعالى عز مصرنا الحبيبة بانتصاراتها خلال شهر رمضان ... معركة عين جالوت فى ٢٥ رمضان عام ٦٥٨ للهجرة انتصرت فيها الجيوش المصرية على جحافل التتار .

●● وفى شهر رمضان أيضًا قاد علماء الأزهر الشريف الشعب المصرى ليحطم الحملة الفرنسية ويأسر لويس فى بيت لقمان بمدينة المنصورة .

●● وفى العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ للهجرة كان نصر أكتوبر المجيد ، وعودة الأرض السليبة والوجه المشرق للجندى المصرى الباسل .

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٢٣ .

●● وفى الشهر الكريم ليلة مباركة يستجاب الدعاء فيها يقول سبحانه وتعالى : **﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر .. ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر ﴾**(١).

ما أكثر الدروس المستفادة من الشهر المبارك الذى كان محور خطبة رسولنا الكريم معلم البشرية والداعى إلى الصراط المستقيم ـ ﷺ ـ .

* * *

●● خطب النبى ـ ﷺ ـ فى فريضة الحج والنهى عن الأسئلة .

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : خطبنا رسول الله ـ ﷺ ـ فقال :

أيها الناس ان الله فرض عليكم الحج فحجوا ... فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا .. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم . ثم قال : ذرونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه (٢).

لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك يقول الحق تبارك وتعالى : **﴿ واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات ... ﴾**(٣) الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام ديننا السمح القويم فرضه الحق تبارك وتعالى على عباده المستطيعين يقبلون إليه من كل بقعة يسمع فيها « لا إله إلا الله محمد رسول الله » تلبية لأمره سبحانه ، وجعل وجهتهم البيت العتيق حيث الكعبة المشرفة

---

(١) سورة القدر الآية ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .
(٢) أنظر تيسير الوصول جـ١ ص٢٦٢ رواه مسلم .
(٣) سورة الحج الآية : ٢٧ .

يقول جل جلاله : ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً ، وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غنىّ عن العالمين** ﴾[1] .

ورحلة الحج رحلة مباركة ميمونة سماوية علوية فى ضيافة الرحمن ، وهى ليست بالجسم والآلات لارتياد الفضاء وترويض الاكوان لإرادة الإنسان ، وانما هى رحلة بالجسم والروح والفكر والقلب والاحاسيس والمشاعر إلى الآفاق الرحيبة حيث السمو والصفاء والشفافية والفناء فى ذات الله سبحانه ومرضاته ، والمثول بين يدى رحيمة فى بلده الأمين .

وفى الحج تتجلى وحدة المسلمين ويزول كل ما بينهم من فوارق مصطنعة فى اللون والجنس واللغة والقومية فتراهم ـ جميعًا ـ اخوانًا متحابين فى الله ﴿ **لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح** ﴾ شعارهم قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم** ﴾[2].

حقاً ... ففى رحلة الحج ينمو فى قلوب الحجيج الشعور الصادق بالأخوة الإسلامية المحققة لقوله سبحانه : ﴿ **إنما المؤمنون اخوة ...** ﴾[3]. فهم فى اطهر بقعة واقدس مكان فى الأرض كلها ... اشرق منها نور الإسلام ودعوة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ـ ﷺ ـ وانبعث منها مبادىء العدل والسلام تمتلىء قلوب الحجيج باليقين وتهتف أرواحهم بأمجاد السالفين ، وتلهج ألسنتهم بالقدوة من صحابة رسول الله والتابعين .. يذكرون الله فى أيام معدودات متمسكين بالمبادىء والقيم متجردين من الأهواء والبغضاء والجدال متجملين بالصبر على المتاعب وفراق الأهل والأحباب ، تاركين عروض الدنيا ومالها وراء ظهورهم لا يأبهون إلا بمناسكهم وعبادتهم .

---

(١) سورة آل العمران الآية ٩٧ .
(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .
(٣) سورة الحجرات الآية ١٠ .

والحج هو أهم مؤتمر إسلامى فيه يتجمع الحجيج من سائر أنحاء العالم بالأراضى المقدسة فيغمرونها بالخيرات بما ينفقون ، وبما يتصدقون ابتغاء مرضاة الله سبحانه مما يصلح حال الفقراء وتحقق دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام : « **رب اجعل هذا بلدًا آمنا ، وارزق أهله من الثمرات** »[1]. وهذا المؤتمر أيضًا يعقد على مستوى العالم الإسلامى كله لا تتكرر صورته فى أى منطقة من مناطق العالم ، ولا يحتاج إلى اجراءات أو ترتيبات تتناسب وخطورته وأهميته إذ يعقد فى مكان له وضع مميز هو قبلة المسلمين عامة ، ومهبط الوحىّ ، ومشرق النبوة ، ومبعث الهداية للناس أجمعين .

★ ★ ★

●● فى الحديث على الاخلاص ونصيحة أولى الأمر ولزوم الجماعة

خطب رسول الله ـ ﷺ ـ بالخيف من منى فقال : « **نضَّر الله عبدًا سمع مقالتى فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها فرب حامل فقه لا فقه له ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن : اخلاص العمل لله ، والنصيحة لأولى الأمر ، ولزوم الجماعة فإن دعوتهم تحيط من وراءهم ، ومن كان همه الآخرة جمع الله شمله ، وجعل غناه فى قلبه ، وأتته الدنيا وهى راغمة ، ومن كان همه الدنيا فرق الله أمره وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له** »[2].

★ ★ ★

علامات يا سيدى يا رسول الله تضعها نبراسًا ينير طريق المسلم فى كل اتجاهاته ، فوق كل ذى علم عليم ، ثم سلوكيات بشرية ودواء لقلوب المؤمنين ، ضرورة الأخلاص فى كل عمل يعمله المسلم واعتباره لوجه الله أولًا وأخيرًا ...

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٦ .

(٢) رواه ابن حبان ، وأصحاب السنن والطبرانى بروايات مختلفة أنظر الترغيب والترهيب ـ وانظر الترغيب فى سماع الحديث جـ ١ ص ٤٨ ط صبيح .

ثم تقديم النصح لأولى الأمر ما استطاع المسلم إلى ذلك سبيلًا ، ويكون ذلك فى شكل عمل أعضاء المؤسسات الدستورية فى الأمة وما تفرزه من آراء وتوجيهات تحمل نبض أبناء الأمة ، وهذه هى الديمقراطية بالمفهوم العصرى ، نوع من الحكم يترك فيه السلطة لمن يختاره الشعب لتولى القيادة من غير تفرقة بين الطبقات العامة والخاصة أو بين السيد والمسود أو الفقراء والأغنياء وكان الإسلام سباقًا إلى هذه المبادىء فقد نادى بالمساواة وبمسئولية الإنسان عما يفعل من الخير أو الشر ، كما نادى بالشورى فى الحكم .. وهذه هى العناصر الحقيقية الثلاثة للديمقراطية الإنسانية من منظور الإسلام ، وما تدعو إليه المجتمعات الدولية العصرية اليوم نادت به الشريعة الإسلامية منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان ففى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ما يؤكد المشورة وتقديم النصحية للحاكم وهى روح الديمقراطية بقول الشاعر :

□ الرأى كالليل مسود جوانبـــه
□ والليل لا ينجلى إلا باصـــبـاح
□ فاضمم مصابيح الرجـــال إلى
□ مصابيح رأيك تزدد ضوء مصبـاح ..

ثم الالتزام بالجماعة ، وهذا مبدأ هام تبنى عليه صروح الأمم فالإنتماء واجب دينى ووطنى فكل فرد مطالب بأن يلتف حول وطنه التفافة السوار بالمعصم حتى يحافظ على كيانه ومكاسبه فما نجحت أمة إلا بتعاون أبنائها واتحادهم يقول سبحانه وتعالى فى محكم آياته :

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ﴾[1].

وأيضًا نهى الحق تبارك وتعالى عن الشقاق وحذر من نتائجه الوخيمة فقال جل شأنه : **﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾**[2].

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣ .
(٢) سورة الأنفال الآية ٤٦ .

ويقول الرسول الكريم - ﷺ - : « **لا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله إخوانا** » .

نعم يا سيدى يا رسول الله هذه بعض المعانى استشعرناها من خطبتك فى الحث على الاخلاص ونصيحة أولى الأمر ، ولزوم الجماعة فى ايجاز .

* * *

●● وخطب رسول الله - ﷺ - فى حجة الوداع قال : الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .. واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واشهد أن محمدًا عبده ورسوله . اوصيكم عباد الله بتقوى الله ، واحثكم على طاعته واستفتح بالذى هو خير أما بعد : أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم فإنى لا ادرى لعلى لا القاكم بعد عامىّ هذا فى موقفى هذا .. أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وان مآثر الجاهلية موضوعة غير السدنة والسقاية والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية . أيها الناس : ان الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ، ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .. أيها الناس : انما النسىء[1] زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا ليواطئوا عدة ما حرّم الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة

---

(١) النسيىء : تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر وخاصة فى الحرب .

حرم ، ثلاثة متواليات وواحد فرد . ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى وشعبان الا هل بلغت اللهم اشهد . أيها الناس : ان نساءكم عليكم حقًا ، ولكم عليهن حق ، لكم عليهن الا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحدًا تكرهونه بيوتكم الا باذنكم ولا يأتين بفاحشة فإن فعلن فإن الله قد اذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربًا غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وانما النساء عندكم عوان ، لا يملكن لأنفسهن شيئًا اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله فى النساء ، واستوصوا بهن خيرًا .. الا هل بلغت اللهم اشهد .. أيها الناس : انما المؤمنون اخوة ولا يحل لمرىء مال أخيه الا عن طيب نفس منه الا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ، فلا ترجعن بعدى كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده كتاب الله الا هل بلغت ؟ اللهم اشهد . أيها الناس ان ربكم واحد وإن أباكم واحد .كلكم لآدم وآدم من تراب ، اكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى الا هل بلغت ؟ أللهم اشهد ... اللهم اشهد ... قالوا : نعم قال : فليبلغ الشاهد الغائب .. أيها الناس : إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصية ، ولا تجوز وصية فى أكثر من الثلث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر ، من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير واليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرفًا ولا عدلًا والسلام عليكم ورحمة الله(١).

(١) أنظر البيان والتبين جـ٢ ص ١٥٢
والعقد الفريد جـ٢ ص ١٣
وإعجاز القرآن ص ١١١ .

نعـــم :

لقد وضعت وأكدت الخطبة بنودًا فى دستور الأمة المحمدية فى تنظيم العلاقات الإنسانية بين أفراد الأسرة اللبنة الأولى فى بناء المجتمع .

يا سيدى يا رسول الرحمة والمحبة الإنسانية والسماحة .. كلماتك نور يضىء الدنيا بأثرها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ... ومعك يا سيدى يا رسول الله حينما رددت قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾[1] .

(١) سورة المائدة الآية : ٣ .

١٣ـ

خاتمة المطاف

وبعـد ..

فهذه نفحة من السيرة العطرة .. سيرة سيد البشر .. محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين ، الذى أخذ يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة حتى عمت دعوته العالمين ..

وكان شعاره : « والله يا عماه لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

سيدى يارسول الله ..

أنت فى حياتك القدوة والأسوة الحسنة .. الرحمة المهداة للبشرية ، فخلقك القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وسيرتك بعد أن رحلت إلى الرفيق الأعلى تملأ الدنيا .. فأنت بشر ولكل أجل كتاب :

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته — يوما على آلة حـدباء محمـول

﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزى الله الشاكرين ، وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٤ ، ١٤٥ .

يا سيدى يا رسول الله ..

تقبل منى هذه النجوى .. وهى كلمات عائذ ببابك .. يرجو شفاعتك ، ورضاك .

يا سيدى يا رسول الله ..

إن كنت قد قصرت فإن لى العذر ، فكيف أصل إلى الكمال وأنت الرسول الأعظم .. سيْرتك العطرة تملأ الدنيا كلها ، يستنشق عبيرها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. غاية ما أرجوه وأتمناه أن لا أكون قد قصرت فيما فتح الله علىّ .. وعليه سبحانه قصد السبيل .

الفهـرس

فروع بنك مصر الإسلامية

يقوم الجهاز المصرفى بدور الشريان الرئيسى فى قلب النظام الاقتصادى نظراً لدوره الريادى فى تجميع المدخرات وتمويل المشروعات فى المجالات الاقتصادية المختلفة لتحقيق التنمية الاقتصادية .

ويحتل بنك مصر مكان الصدارة فى الجهاز المصرفى المصرى منذ انشائه فى عام ١٩٢٠ حتى الآن بوحداته الداخلية والخارجية .

وتدعيما لهذا الدور الوطنى البارز قام البنك بتلبية رغبات جمهور المتعاملين الذين يرغبون فى التعامل بمنأى عن الفائدة وذلك بانشاء عدد من الفروع الإسلامية بلغ ٢٨ فرعا إسلاميا منتشرة فى أنحاء البلاد .

وتتميز فروع بنك مصر الإسلامية بالآتى :-

(١) تزاول نشاطها طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية وباشراف لجنة الفتوى بالأزهر الشريف وعضو مجمع البحوث الإسلامية .

(٢) أموال تلك الفروع منفصلة تماما عن أموال البنك .

(٣) تقدم كافة الخدمات المصرفية فى مجالات الاستثمار والعمليات التجارية وفقا للأسس المقررة شرعا وتشارك عملائها فى كافة المشروعات الصناعية والزراعية والتجارية .

(٤) تمويل المشروعات وفقا لنظام المشاركة والمضاربة والمرابحة .

(٥) تقوم الفروع بإصدار العديد من الأوعية الادخارية بالعملات الأجنبية والمحلية ذات الآجال والاستحقاقات المختلفة بما يتناسب مع احتياجات العملاء ومن أمثلة هذه الأوعية :

- شهادات بنك مصر للمعاملات الإسلامية وتصدر بالعملة المحلية والدولار الأمريكى ويصرف العائد كل ٣ شهور حسب نتيجة أعمال البنك .
- شهادات بنك مصر للمعاملات الإسلامية ذات العائد الشهرى بنفس المميزات السابقة مع صرف العائد شهريا ويتم تسويته كل ٦ شهور .
- دفتر التوفير الاستثمارى ويفتح بالعملة المحلية والعملات الأجنبية ويصرف العائد كل ٦ شهور .
- الحسابات الاستثمارية بحد أدنى ٥٠٠ جنيه أودولار أوجنيه استرلينى وغير ذلك من العملات الأجنبية .

وتتميز الأوعية الادخارية بالبنك باعفائها من كافة أنواع الضرائب .

كتاب الجمهورية

يصــدر عـن

دار التحـرير للطبع والنشــر

رئيس مجــلس الإدارة

سمير رجب

المشرف على التحـرير

فاروق فهمى

امتياز الاعلانات :

شركة الاعلانات المصرية

٥ شارع نجيب الريحانى

ت : ٧٤٤١٦٦

التوزيـع :

شركة التوزيع المتحدة

٢١ شارع قصر النيل

ت : ٣٩٢٣٧٤٩

المراسـلات :

كتاب الجمهورية ٢٤ شارع

زكريا أحمد ت: ٧٥١٥١١

٧٤١٦٥٣

رقم الايداع ٢٧٢٢ / ١٩٩٢



المؤلف في سطور :ـ

دكتور / محمد بهى الدين محمد سالم

وكيل وزارة الأوقاف لشئون مركز السيرة والسنة

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

- من أبناء الدقهلية .
- دكتوراه في الآداب قسم اللغة العربية مع مرتبة الشرف الأولى .
- دبلوم معهد الدراسات العربية العالية .
- دبلوم معهد الدراسات الإسلامية العالية .

مؤلفاته :

- رمضان في البلاد الإسلامية
- موقف الإسلام من الفتن والتآمر
- من وحي الإسلام
- في رحاب الإسلام
- المسلمون في موكب الإنسانية
- من حصاد الفكر الإسلامي
- حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء (تحقيق ودراسة)
- مصر في عيون الشعراء العرب

نشاطات مختلفة

- ☐ نتاج أكثر من ربع قرن من المقالات والدراسات بالصحف والمجلات والبرامج الإذاعية .
- ☐ شارك في عدد كبير من اللقاءات والمؤتمرات الإسلامية بالداخل والخارج
- ☐ أمين عام جمعية الصداقة المصرية الماليزية
- ☐ أمين عام جمعية الصداقة المصرية الأندونيسية
- ☐ عضو جمعية الأدباء .

الثمن ٢٠٠ قرش

مطابع الأوفست
بشركة الإعلانات الشرقية